

من محاسن المرض الغائبة

أو: (ثماني عشرةَ) فائدة

إعداد

(عبد المحسن بن علي المطلق)

(تويتر : Mohsn Almutlaq)

طبع على نفقة مكتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في جنوب بريدة ت/ ٠٦٣٦٩٩٩٩



أَوْلَى المَطَالِبِ، في التعامل والتخاطب



بقلم

عبد المحسن بن علي المطلق

قدم له

د/ خالد بن صالح المنيف

خبير التنمية البشرية





المؤلف في (سطور):

عبدالمحسن بن علي بن محمد المطلق

- مواليد الرياض مطلع الثمانيات الهجري من القرن المنصرم.

- أبحر بنفسه ثقّفها، أعطاها من حظ القراءة و الإطلاع قلّما بلغه الأقران.

كتب أول مقالة (نشرت عام ١٤٠٦هـ) وامتد بعدها عطاءه، صحفياً في .. مقالات تربو على المئتين بعدة جوانب اجتماعية تنمية سياسات فكر.. دين.. أدب - حتى أصدر عام ١٤١٧هـ أول كتبه نصف قلب وكان في أرشيفه قبلها مادة عن المتنبي تمخّض منها عند إذ كتاب (فارس الكلمة)، المتنبي فأبحر عندها بقلمه عُباب الأدب فأصدر (ديوان البيان) .. بين دفتيه منهج تذوّق الشعر العربي.

والذي سما به .. فجاز به إلى العطاء الاجتماعي بمواد صحفية، فيما قدّم ما يُحسب دينٌ فيه كتاب عن الوالد (هذا أبي) والذي طاول به بعدها إلى العطاء الأسمى ببعض جهد في الدين فأصدر هادم اللذات و تبعه الحياة الطيبة أو (السعادة من منظور إسلامي) ففوائد المرض- شرعياً- مع رسائل في الاستغفار واستقبال رمضان، وفي قدر-مقام- الصلاة.. و مادة في التوجية(اللين)بين يدي القارئ، فـ" نصائح للشباب " وهذا.. في غمار مجاهدة هو(زكاة) العلم.. من حديث(من لم يجاهد أو يحدث نفسه بالجهاد..) وقد شرح العلماء عن أنواع الجهاد، منه جهاد بالقلم فعسى الطروحات تلك.. أو سائلاً المولى أن تكون منه، وأملي:

تبلى الأنامل تحت الأرض في جدث ... وخطها في كتاب يؤنس البصر

وهو بهذه المادة. ما يُكلل أو يوجز تجربته التربوية(اللين) ويتوّجها لاحقاً. بأذن الله (آرواء الظمآن من أدب القرآن).

وبعد فهذه ليست بسيرة، ولكنها صيغة تعريف بصاحب هذا الكتاب.

فأني أحسب أن أوَلى تعريف بالشخص، ليس سيرته.. أين و متى وُلد. الخ، فإن كل منّا له مثل هذه السيرة.

ولكن بما قدّم أو أقدم عليه للأمة وما يُحسب له من حُسن صنيع يُذكر، لا لمدح الذات، وإنما شفيعاً له في قبول عطائه أو لتقييم ما قدّمه- من خلاله-.

ومن هنا نجد حالة موازية لمقولة، العقاد عن نفسه (ليس بدكتور، و لكنه أديب مشهور) ثم أخذ: يذكر ما قدّمه للأمة.. أي أنه هو(الشهادة) بحق التي يحفل و يفاخر بها ، لأنها بلّغته ربوة ما بلغ، فيما أوجز .. بمثلي (الخويطر) في إجلاء أكثر أنه: لا يلوّح بالدكتوراه إلّا ... !

mohsnali@yhoo.com

إطـــار

آيـــة :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ آل عمران ١٥٩

حديـــث :

«لن تملكوا الناس بأموالكم ، ولكن بأخلاقكم»

فــقه :

الدين هو التوحيد الحق ، والإحسان للخلق .

ف (من زاد عليك في الإحسان ،زاد عليك في الدين)

الحــكم

«عجبت لمن يشتري « العبد » بما له ...ولا يشتري « الأحرار» بأقواله وأفعاله»

- نثــراً-

....قالوا (الكلام اللين يغلب الحق البين)

-وشعــراً -

إذا كنت لا أعفو عن الذنب من أخٍ وقلت أُكافيه ،فأين التفاضل ؟

...وموجز هذا -أي: « اللين » -أن يكون :

لا غلظة في المقال ، ولا فظاظة في الأفعال

ردمك:٩-٤٩٢١-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

مطبعة الحميضي ٢١٣٠١٣٠

مكتبة التوبة
الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير
هاتف :٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

رقم الايداع ٣١٨٥ / ١٤٣٣ × ١٠ / ٤ / ١٤٣٣
ردمك ١ – ٣ – ٩٠٣١٠ – ٦٠٣ – ٩٧٨



إعداد أبي زياد

(عبد المحسن بن علي المطلق)

حقوق الطبع (لكل مسلم) بشرط الإبقاء على الأصل
.. وجزى الله من يفعل ذلك خيراً

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

أو.. إن كـان إنمـائي بهـذا (العطـاء) قـد أينـع، فـإني أوّل مـن أدعـو لقطـف الثمـر منـه.. أُسـتاذي: الكـريم (المستشـار القضـائي الخـاص، والمستشار العلمي للجمعية العالمية للصحة النفسية بدول الخليج والشرق الأوسط) الدكتور: **صالح بن سعد بن صالح اللحيدان**

الذي حظيتُ بعد معرفته بحُسنِ توجيهه، فكان.. ما علّمني من أدبه ولطفه أكثر من علمه،وليس غريباً عليه، وقد نحل هذا النهج ممن لهم قدم صدق، : قال أحد تلامذة الإمام مالك : (ما تعلمناه من أدبه، أكثر مما أخذناه من علمه).. كما وذكّرني بقول (مجاهد): " صحبت ابن عمر ﷺ لأخدمه، فكان هو الذي يخدمني" ، وهذا أدب من ديننا العظيم.

بل لقي جمّ من جهدي - المتواضع - لديه بكثير من اهتمامه وإرشاده ونصحه، .. للحديث { من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه}.

فيما غمرني بأضعافِ قدري، حين أسبغ عليّ الكثير .. مما لا أستحقه إلا (ربما) حُسن ظنٍّ عسى أن أبلغه.

- حثّني لذكر هذا الفضل قول أبي تمام :

وإن امـروءٌ أهـدى إليـك صـنيعةَ مـن (جاهـه)، فكأنهـا مـن مالـه-

.. فأنا أشهد أنه أهدى إليّ من جاهه "العلمي" ما لا يستطيع قولي عليه ثناءً إلا بالدعاء، بارك الله لنا فيه، وأكلأه بعنايته وحفظنا وإياه بحفظه.

.. ولن أعرّف بنفسي بأكثر من : مُحب لكم في الله:

.. تلميذكم / عبد المحسن

الفهرس

	الصفحة
- الإهــداء	٥
- توطئة .. لـ (المادة)	٩
﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾	١٩
وبعـد	٣١
- **المحاسن**...	٥٧
أولاً: أجر وطهور...	٥٩
ثانياً: قد يكون من علامة حب الله........................	٦١
ثالثاً: عودة للمقصر في جنب الله...........................	٦٥
رابعاً: تذكير بنعمة (العافية)	٦٩
خامساً: قد يكون سبباً لدفع بلاء أعظم.............	٧١
سادساً: الرأفة بصاحبه.......................................	٧٣
سابعاً: كما ويعذر في أنواع من العبادات.............	٧٥
ثامناً: أو يتبع هذا رد كيد الأعداء.......................	٧٧
تاسعاً: هو في (معية) الله / حثاً على : زيارته.....	٨١
عاشراً: إفاقة القلب إلى شعيرة الدعاء..................	٨٥
حادي عشر : أجر المحتسب.. إن صبر...................	٩٧

الصفحة

ثاني عشـر : يفيق الهمة إلى المسارعة للصالحات ٩٩
ثالث عشر : تطبيق (جبري) لحديث: { إن لجسدك عليك حقّاً} ١٠٣
رابع عشر : هو في (إحدى الحسنيين) ١٠٥
خامس عشر: يتولد منه قوّة قلّما يبلغها الصحيح "المنعّم".. ١٠٧
سادس عشر : نعمة (الألم) به ١١٥
سابع عشر : أنّه في هذا الحال: أقلّ من الموت (المكتوب) على الخليقة ١١٧
ثامن عشر : المرض يبين حقارة الدنيا ١٢٣

- وبعدها... ١٢٥
الوقاية .. أو (الوعي) ١٤٧
أنواع (المرض) ١٥٩
ختام ١٨٩
المراجع ١٩٣
رسالة (المؤلِّف) ١٩٥
باختصار... ١٩٧

من محاسن " المرض " الغائبة

أو .. في : (أبعاده) الأخرى الجليلة.

توطئـة :

الحمد لِلهِ القائل : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان٢٠]، ولا شك أن من أعظم تلك النعم الظاهرة[١] نعمة (الصحة)[٢] والله أعلم.

والصلاة والسلام على من أعطي جوامع الكلم، القائل: { نعمتان مغبون[٣]فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ} رواه البخاري ومسلم، ونصٌ.. ربما موقوفاً على ابن عمر (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا) [٤] رواه الترمذي وابن ماجه.

وهذا .. دلالة على أن كل إنسان مهما بلغ منه وهن العيش - أو غمر أرجاء حياته الكدح والكد وراء الدنيا - فهو في نِعمٍ عظيمة[٥]

---

(١) الخافية عن فئام من الناس في الحياة، وأشد نكالاً منهم: من لا ينظر إلا لما ينقصه .. ويملكه غيره!- وكفى بحقهم هذا الزجر: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس ٩٢] -

(٢) فـ (الصحة) باختصار: هي التكامل الجسدي والنفسي والاجتماعي. – وليست كما يفهم البعض مجرد الخلو من الأمراض-

(٣) الغابن .. الذي : باع الشيء بأضعاف ثمنه، أو اشتراه بأقل من أضعاف ما يستحق.

(٤) ومن هنا قال حكيم: (إني نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت أن كل من معه شيء له قيمة حفظه حتى لا يضيع)..

(٥) لمَ لا .. وقد خلقه : ﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾.

.. ولو فقد ما يبدو بها تحقيق رغباته كـ: (المال) و (السلطة) و (الجاه) و (المكانة) و(المنصب).. إلخ!

لأن "آلاء" اللّه تفيض عليه من كل حدب وصوب[1].

وتضرب (د. جواهر آل الشيخ) مثالاً : أن " لو حُرِمَ رجل أو امرأة من الإنجاب لدارا ولفّا أبعاد الكرة الأرضية بحثاً عما فيها من مشاف ومصحات وعيادات تعالج العقم وتحفز الإخصاب، كل ذلك من أجل الحصول على طفل"- ولو : واحداً (فقط) - ، فكيف (بربّك) وقد رزقك وبدون كل هذا العناء.. أو التكلّف: بذرية، أي أكثر من واحد.

ولا غرو أن يُوجز ـ عن مقام الصحة ـ وهي في نص حديث سيأتي في ص٤٥ (ابن تيمية) رحمه اللّه بقوله :

(لم يُرزق أحد بعد يقين، خيراً من عافية)، أي : جعلها رديفةً للإيمان- وهو أعظم النعم .. بلا ريب- ، من هنا قال أحد الحكماء:

(إني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت أن كل من معه شيء له قيمة حفظه حتى لا يضيع).

---

(١) بل حتى تلك المحسوبة على أنّها – في عُرفه- نقمة(*)، ففي الحديث : { لا تسبّي الحُمى، فإنها تُذهب خطايا بني آدم كما يُذهب الكير خبث الحديد} رواه مسلم و.. في (الدنيا).. { فحرّها أشد ما تجدون من حر الدنيا} متفق عليه- من حديث { اشتكت النار إلى ربها} !-

- (*) وفي بلاد الشام مثل : (استفقادات ربنا – أي : ابتلاؤه بالمصيبة – رحمة لنا)، - .. وقد يكون إبتلاءً كما سيأتي في قول ابن قيم الجوزية ص٢٩-

ملحظ: هذه المادة موجزة من (سفرٍ).. ضمّ كافة مقاصد هذا العنوان – ناهز هذا الموجود هنا بمئة صفحة-

لكني آثرت إيجازه ليبلغ مرامه (أي : ليُقراء) [1] هذا أمر..

والأمر الآخر الذي دعاني لهذا الإيجاز ما نُسب للإمام الطبري حين شرع في وضع تفسيره للقرآن.. بالقول:

وضعت لهذا التفسير مبدأ أن يبلغ ٣٠٠ جزء، ثم رأيت وهن القراء عن القراءة- وذاك في جيله (فما البال بجيلنا ، فالله المستعان)- فعدلت عن ذلك إلى ٨٠ جزءاً، ثم رأيت أن الأمر لا زال كثيراً على القراء[2]، فأوجزت بـ ٣٠ .. وهي بمقدار ٣٠٠- الأصل – ليُقراء) - أو عساها مجزئة-

لكــن.. أو قد ألفتني سؤال عجيب :

كل شيء نشتريه بالمال، فبماذا نشتري المال؟.

(١) .. وقد حرصت أن/ لا يكون بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، ولئن قال بعض الناهمين: أن هذا ليس بكاف، أجيبه: وماذا يضيرك فازدد بحثاً- لإني طرحت لك ما أحسبه الأولى، أو ما تيسر بين يدي- ، .. وربما قال صاحب النفس القصيرة: كيف آتى على جلّ هذا؟ فما عليه عندها : إن اكتفى.. ولو : بالعناوين (من هذه الفوائد)!

ثم عمدت عن الإعادة أو التذكير بـ (انظر ما تقدم) مثلاً من مقولة (أُعيدها لنعيها) – و.. لقولهم: ما تكرر تقرر- ، كما أن هناك معان تكرر مرادها ، لم أذكرها بل تركتها لنباهة القارىء.

(٢) .. أي لا زال أكثر من همّة إجمال القراء.

وفعلاً هو سؤال ملفت في ظاهره، لكن إذا تمعّنت بمعطيات الجواب الذي أحسب جوابه: (الصحة)! .. وجدتها تُصيب كبد الحقيقة!

.. قطعاً: لا أقصد من يبيع أحد كليتيه (كما اشتُهر مؤخراً) أو يقدّمها عِوضاً يحصل به على المال!، إنما أُريد المعنى الأوضح لهذا :

فإنه يشريه: مُقايضةً: بالصحة مثلاً[1]، أو راحةِ البال، وهموم ما يأتي بعد جمعه (وهو أكبر): أي: في الخوف على ضياعه.. منه!

وقد أوجز أحد الحُكماء : عجباً لابن آدم!، يُتلف صحته لجمع المال، فإذا جمعه أنفقه- أو أتلفه- لاسترجاع صحّته!

.. فما له من خلاق.. بهذه المغامرة؟.. التي يصرف لها أعظم ما يملك الوقت وهو: (زمن البذر) .. بهذه الدنيا، لحصادٍ في الآخرة، هذا إذا ما أدركنا أن (إضاعة الوقتِ من المقت!)، والمقت: البغض الشديد.

وقد توعّد المولى من ذهب به همّه.. أو صرفه إثر هذا المطمع.. بقوله: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة٢]، وهكذا!.

إذاً فإن هناك ما يدفع المرء ثمنه.. دون أن يحسّ — وهذا أنكاء في حقه-

فـ (جمع المال) .. الذي أغلى ثمن له .. وأعزّه كما ذكرنا:

(١) فكم- وهذا مشاهد كثيراً — في هذا العصر: مِن الناس مَن أنفق صحته لجمع المال! (.. وبئس العوض)!، أو: ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود : ٩٩].

البذل في سبيله (الصحّة)، وتلف الأعصاب!، فبالله ماذا يفيدك مالٌ قدّمت (صحتك) مُقايضة لبلوغه؟!، من جهة أخرى باب التكامل:

(إذا شقيت في طلب المفقود، حُرمت السعادة في الموجود)، من

ثم.. بالمقابل: كم من (مستور) [1] الحال لديه.. بالإضافة إلى (كنز) القناعة: (تاج) الصحة، و(نعيم): راحة البال، وفي الحديث: { قد أفلح من أسلم، ورُزق[2] كفافا وقنعه الله بما آتاه} رواه البخاري، أي: أغناه عما (قد) لا يجلب له إلا ما يظن عندها: أن ما بلغه ﴿ مُلكٍ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾[طه : ١٢٠]، قال محمد إقبال:

دواؤك فيك، وما تشعر وداؤك منك وتستنكر!

.. حتى تجد أحدهم لا يشبع من الجمع، أو تحسب أن فمه[3] يُردد ما قالت جهنم حين سُئلت ﴿ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق : ٣٠]، .. ولو أدرك، لما حاد به فهمه إلى أن:

ليس السعيد مَن دُنياه تُسعده إن السعيد من ينجو من النارِ

لكن وليس عذراً أن هناك بالفعل من يبتسم لك إذا ابتسمت لك الحياة.. وأنت عندها بغنىً عنه، فما حاجتك وقد كان مكفهراً يوم

(١) الستر: أن تملك من كل شيء بعضه .. لا أن تملك مالاً كثيراً.. وتفقد الولد! – كما في قول د. جواهر ثنايا ص١٠-

(٢) انظر في كتاب التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي.

(٣) كما في الحديث: { ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب..!} ، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفي تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح.

عبست الدنيا معك! ومن (هذا) الأثير وقعه قال الأحنف[1] واصفاً حال الفقير مع الفقر:

يمشي الفقير وكل شيء ضده　　والناس تغلق دونه أبوابها

وتراه مبغوضاً وليس بمذنب　　ويرى العداوة لا يرى أسبابها!

.. وقد أوجز وأجاد ذلك العاميُّ.. حين سُئل: عن أحواله؟، بالقول: (إذا عافاك، فقد أغناك)، - فليس مال كالصحة، ولا نعيم كالعافية، .. وكما في الحديث:

{ ليس الغنى كثرة العرض[2]، لكن الغنى غنى النفس}.

- قال أبو فراس

إن الغني هو الغني بنفسه　　ولو أنه عاري المناكب حاف

والله عز وجل يذكّرك .. بـ : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى : ١١] فالحديث بها: (إقرار) واعتراف بهذه النعمَ– قولاً وعملاً- ، ثم إياك أن تغفلها خلف شهوات لم.. ولن تستطيع نيلها.

أجل، فإن من استقرأ واستقرّ لديه بإيمان هذا المعنى لن يبرح أن يقول لنفسه: على رسلكِ فما هذه الحياة للجمع، وإنما تحصيل زاد:

(١) وقال غيره.. مؤكداً:

إن الدراهم في المواطن كلها　　تكسو الرجال مهابة وجمالا

(٢) أي : ما لديك مما (يُعرض) للتجارة .

﴿ .. بلاغاً إلى حين ﴾ ، وقد أوجز له الناصح المشفق ﷺ : { بحسب ابن آدم لقُيمات يُقمن صلبه}.

وهنا: المرء الحصيف، لا يسأل ربه الزيادة وإنما يسأله (البركة)، لأن قليلاً مبلّغاً .. خيرٌ و(أولى) من كثير.. مضيّعٍ[1] لصاحبه!

وإليك هذا الموقف.. تقريبٌ عن البركة، فيما ذكره أحدهم:

(كنت في حوار مع هندوكي في الهند فكان من حواري معه قوله لي : إنني أعجب منكم أيها المسلمون في الحديث عن البركة وأنها تُكثّر القليل وتُضاعف حجم الصغير.

فقلت له: هل في الهند قطط؟ قال : نعم، قلت له : هل في الهند خرفان؟ قال : نعم، فقلت له: المعروف أن القطة تلد في السنة على الأقل أربع مرات وكل مرة لا ينقص عدد ما تلده في المرة الواحدة عن خمسة أجزاء. والنعجة تلد في السنة مرة واحدة والغالب أنها لا تلد إلا واحداً وقد تلد اثنين. وهذه النتيجة تفرض أن يكون عدد القطط في الهند أضعاف أضعاف عدد النعاج مع أن سكاكين بني آدم مشغولة على الدوام بذبح الخرفان لأكلها. فما معنى هذه النتيجة العكسية؟ إنها البركة)!

(١) للحديث – عن البيعان- {وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما} متفق عليه، ولم يقل ذهب ربحهما، لأن أحدهما قد يربح، لكن يصرف ثمن ربحه على علاج ما .. مثلاً!

.. فأُعجب بالجواب، وعلمت أن هذه الإجابة من الإلهام الرباني[١] وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء .

.. ومع الاعتراف (بهذا) .. ثم تعويد نفسك في الدوام على الحمد والشكر[٢] وحسن الثناء لمن يستحقه جلّ وعلا، .. وقد أسبغ عليك نِعماً حُرِمها الكثير حتى أولئك، أي من ظاهر حالهم الغِنى أو يُسر العيش، بما يخفى عليك خلفها من الآمٌ يعضوا عليها بأنامل الصبر.

ولو (جاز) لأحدهم أن يبثّ، لهتف إليك (خُذ كل ما لدي .. وأعطني صحتك).

أجل ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى : ١١] :

حُدث عن أحد السلف كان أقرع الرأس.. أبرص البدن.. أعمى العينين.. مشلول القدمين واليدين.. وكان يقول: (الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً ممن خلق، وفضلني تفضيلاً). فمر به رجل فقال له: مما عافاك!، أعمى وأبرص وأقرع ومشلول .. فما عافاك؟ فقال : ويحك يا رجل، جعل لي لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وبدناً على البلاء صابراً.

---

(١) فأحببت نشر هذه الإجابة المعبرة بالتصوير الحقيقي عن معنى (البركة) وحقيقتها.

(٢) فالحمد قول اللسان ثناءً، والشكر- مع ما سوف يأتي (هامش ٢ ص٤٩)- : قول اللسان(*)، وفعل الجوارح، ولهذا فقد كان (ثابت البناني) – رحمه الله – يُكثر من : "الحمد لِلهِ، و استغفر الله"، فسئل : لماذا خصّمها؟، فقال : " لإني بين نعمة أحمدهُ عليها، وذنبٍ استغفره منه ".

(*) في سياق الثناء نقول: (الحمد لله على نعمائه والشكر له على توفيقه وامتنانه..).

.. ثم قال : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر.

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : ٣٦]

قيل للسعادة: اين تسكنين ؟، قالت : (في قلوب الراضين) [١]، قيل فبم تتغذين؟ قالت؟ (من قوّة إيمانهم)، قيل فبم تدومين ؟، قالت: (بحسن تدبيرهم) قيل: فبم تؤمنين؟ قالت: (باليقين أنه ﴿ لن يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا ﴾ [٢] [التوبة : ٥١] .

وأوجزت (عجوز) حين سئلت عن (سرّ شبابها): بقولها:

" أستخدم لساني للحق، وأغضّ بصري عن الحرام ولا أسترق بسمعي أو أتجسس به، ولا أبدي زينتي إلا لزوجي.. إلخ".

ختم.. أو بمناسبة (الاعتراف) الذي تقدم، أذكر إحسان من سبقني لهذا/ إذ.. وهذه - أي: مادتي - في أدراج المطبعة، وقعت (مصادفة) على نشرة أخي في الله عبد الرحمن اليحيى بعنوان: **(فوائد المرض)** وإذا هي أو معظمها مما طرقته!، و كذلك لأخي الدكتور/ عبد المحسن القاسم – مطوية- بعنوان : **(عافية مريض).**

---

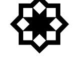
(١) تجلية هذا.. في ص ٧٩ هامش (١).

(٢) مع ما يأتي – عن الآية-، في ختام ص٥٥.. فكذا تمعّن بقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٨٠]، فهو ينسب المرض إلى نفسه .. (أدباً) مع ربه.

ولا غرو فنحن[1] نورد من نهر واحد، .. فماؤنا عذب (تحدر من غمامٍ واحد)، ونتجه تلقاء مرمىً واحد.

.. وقد كنت أظنّ أني –ابتداءً- أتيت ما لم يُطرق من قبل[2]، ولن أقول أو أدّعي: بما لم تأتِ به الأوائل! وإن تمنيتُ لنفسي أو لقلمي بلوغ هذا، فيما لا مُشاحة فيمن سبق!، فحسبي وإياهما المقصد والنية في بذل العلم النافع لِلهِ... ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

ثم إني لا أعجب من إتفاقنا على نفس أو معظم النقاط، فنحن (كما يعلم القارىء) نُورد من معين واحد، وإن اختلف منهج ومنحى طرحي عن طرحهما، لكنّي أو عجبي: وقفاً على أن كيف تواردت لنا نفس الفكرة، وبزمن متقارب!؟، فـ (سبحان من ألهم النفوس.. تقواها).



(١) .. وسيد قطب قال عنٍ إقبال – رحمهما اللّه- : وربما توافقنا أنا وإياه في المعاني إن لم يكن بالكلمات أيضاً! ولأقرّ بهذا: أكثر/
لو أن خطيبي جمعة أحدهما بالشرق والآخر بالغرب وأراد كل منهما أن يكون موضوع خطبته عن الربا، لاستشهد كل منها بنفس الآيات والأحاديث التي حذّرت منه، أو توعّدت صاحبه.. وهكذا.

(٢) كل من يرنو عملاً – والتأليف على وجه أخصّ – يود أن يأتي بما لم تأتِ به الأوائل، أي: غير مسبوق بطرحه، لكن ..، أو: تجري الرياح، بما لا يشتهي الملاح.

﴿ .. وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل : ٥٣] ، وتقريب هذا :

"إن الإنسانَ متى عمل صالحاً فهو توفيقٌ من الله- وكذا يُوفّق للمحافظة على صحته- لكن متى ما غيّب هذه النعمة على نفسه، أو أرجأ فعله الخير إلى غرور ذاته، تركه الله لنفسه، وهنا يهلك، فينطبق عليه حديث: { سبق إليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها} ، ومن هذا المعنى نفهم قوله: ﷺ في دعائه { ولا تكلني[1] إلى نفسي طرفة عين} "[2].

لا حال .. من برّد حاله وظروفه، بأحرّ منها! ..

فما فعله إلا كالمستجير من رمضاء الحاجة والفقر، إلى (نار)[3] ما لا يمكن تعويضه وهو: ما يقوم عليه الجسد: هناءُ الصحة، ورغد العيش..

هذا إن لم يجلب له هذا المطلوب .. (خفيٌّ) أشار إليه " ابن المعتز":

رب أمـــــر ترتجيــــــه جــــرّ مــــا لا ترتجيــــه

خفــــي المكـــروه منــــه وبــــدا المحبــــوب فيـــه

مثلاً: حين جاء رجل إلى التابعي الجليل "يونس بن عبيد"[4] - رحمه الله- يشكو إليه ضيقاً، فقال له: (أيسرّك ببصرك مئة

(١) قال ابن القيم: " وقد أجمع العارفون على أن التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك".

(٢) هذا.. ما ذهب إلى تفسيره للحديث أعلاه فضيلة العلامة (سالم الشيخي..) حفظه الله، وأحسبه وفق إلى بسط معنى الحديث.

(٣) قيل: أن العرب لم تدع شيئاً إلا وضربت به مثالاً، كذا مثّل (جساس)- حين غدر به (عمرو)- بقوله: **المستجيرُ بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار!**
قال أحمد شوقي – في (عجز)- : و.. **أخفُّ من بعض الدواء الداءُ.**

(٤) هذا .. الذي طبّق (القناعة) قولاً وفعلاً : كما جاء في السّير أنه/ كان يبيع ويشتري بالسوق في دكان له.. وحصل أن : (غلاماً له باع حُلّة لأعرابي في البصرة بعشرة دراهم، فلما عاد يونس إلى دكانه وعلم ذلك، أمره أن يسرع بالبحث عن هذا الأعرابي في أنحاء =

ألف؟)، قال لا ، فقال له : (أيسرّك بسمعك مئة ألف؟) قال: لا ، .. إلخ ، ثم قال : (أرى لك مئات الألوف ، وأنت تشكو الحاجة)[1].

لكن .. أو المعضل هُنا.. مع التأفّف: أن الإنسان ينظر إلى ما ينقصه لا إلى ما عنده - ويفقده غيره - ، أو بالأصح ماذا لدى غيره وليس عنده،فيختلُّ عنده التوازن فلا يقنع (أبداً) ، والله يعظنا حين يُلفتنا إلى هذه بقوله﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان : ٢٠] ، وعندها –أي (استحضار) هذا الأمر- يأمر: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى : ١١]

لكن أكثر الناس يسيئون الظن بربهم، فإن أُعطوا ظنوا أن الله أحبهم وأكرمهم، وإن مُنعوا منه ظنوا أن الله لا يحبهم ولا يريد إكرامهم وحظهم دائماً سيءٌ وندبوه، ولم يعلموا أنه ابتلاء من الرحمن الرحيم ينظر ماذا يعمل الفقير وماذا يعمل الغني، وهو سبحانه علام الغيوب، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ [الفجر : ١٦] .

إلا أن (كل) هذا الإجلاء[2].، لا ينفي أو يقلل من أن (المرض):

= السوق.. فلما جاء له قال له يونس: إن هذا الغلام باعك هذه الحُلّة بعشرة دراهم وإنما هي بسبعة ورد له ثلاثة دراهم)! نورد - كهذا- حتى لا يُقال عن معارفنا: أنها خيالٌ صعب التحقيق!

(١) السّير ٦/٢٩٢ .

(٢) .. مع ما سوف يأتي (في مطلع ص٥٧).

ابتلاء يهد الجبال، لكنّه- أبداً- لا يهدّ الصابرين، فالصابرون- وحدهم- يصمدون في المعركة مهما كانت ضراوتها!

لأن الابتلاء .. ثم الصبر هو: العنوان الأبرز في مسيرة أهل العلم. وخاصتهم بخاصة، فحين سُئل الشافعي – رحمه الله- : أيهما أفضل للرجل أن يُمكّن أو يُبتلى؟ أجاب : (لا يمكَّن حتى يُبتلى)..، قال تعالى ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٩]، يعني : ما تشاؤون من الخير شيئاً إلا أن يشاء الله بمعنى : (يدلكم على أن تشاؤوه)، وبهذا أتى المعنى التالي: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾[1] .

وفي الحِكم : نعمتان ما خرج موجود عنهما، ولابد لكل مكوَّن منهما: نعمة الإيجاد[2] ونعمة الإمداد.

.. أباحت - في نقاط- (د. خيرية السقاف) عن أنواع الصحة (الأخرى):

" .. يحدث أن تتلاشى رغبتك في الكلام، تشعر أن لسانك يعجز عن النطق!

غير أنّك إن حرَّكته في محاولة وجدته سليماً لا عيَّ فيه ..

---

(١) سورة الأعراف ١٨٨، جاء في تفسيرها: " لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تنتج لي المصالح والمنافع، ولحذرت من كل ما يفضي إلى سوء ومكروه، لعلمي بالأشياء قبل كونها، وعلمي بما تُفضي إليه " – تفسير السعدي ص٣١١-

(٢) فـ ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان : ١] – (هل) بمعنى: قد أتى-

•• يحدث أن تُحجم عن الطعام..، تشعر أن معدتك لن تستوعب من الأكل ولا لقيمة، غير أنك إن فكرت في الجوع وجدتها تتضور..

•• يحدث أن تصدّ عن صديق تجد أنك عاجز عن ملاقاته أو الحديث إليه، غير أنك إن فكرت فيه وجدت أنه عزيز عليك..

•• يحدث أن ترفض عرضاً مغرياً مقدماً لك لمنصب مرموق، فإن فكرت فيه وجدت أنك بحاجة إليه ..

•• يحدث أنك تصمت عند جدل يقوم، تشعر أنك غير قادر على الخوض فيه.. غير أنك تملك من الحجج ما يفند الصحيح فيه من الخطأ.

•• يحدث أن .. ويحدث أن ...، .. إلى أن قالت - أو ما أجمل ما خَلُصت إليه- بـ :

.. صحّة هي أن تصمت عن الكلام حين يكون الصمت حكمة.. صحة هي أن تبتعد عن الصديق حين يكون القرب منه ظلماً لنفسك وخسارة له.. صحة هي أن تجوع وتعطش حين يكون الطعام فاسداً، والماء آسناً.. صحة هي أن تقبل بعمل يسيرٌ رزقُه.. حين تأتي الزيادة بخسائر، صحة هي أن تسكت عن جدل حين يكون الكلام هذراً.. فمن يُؤتى (الحكمة) ليس مريضاً، بل في أتم صحة وأكمل عافية".

و.. كتب الأديب (عبدالله الجعيثن) بإجمال :

" ورسول الله ﷺ قدّم لنا في الأحاديث الشريفة أركاناً هامة لسعادتنا في هذه الحياة، منها - بعد الإيمان والعمل الصالح- : الصحة والأمن والعلم والمال الحلال، والمرأة الصالحة والدار الواسعة.. إلخ".

و.. من هنا ينوه الشيخ (د. صالح السدلان) :

" وإننا إذ نقول : إن في الإسلام من الروابط والصلات ما يجعل الأسرة والفرد والمجتمع جمعاء على أحسن حال وفي غاية من السعادة.

إننا إذ نقول ذلك فإننا نرى هذا ونلمسه ونقرؤه ونتعامل معه من خلال التكاليف الشرعية أمراً ونهياً، ومَن أَخذ بالتكاليف الشرعية وجوباً ولُبّاً، ومن امتنع عن النواهي الشرعية تحريماً وكراهية، ومن استعمل ما أباح الله له وتورّع عن بعض المباحات، ولم يتوسع في شهوات النفس ورغباتها، ولم يُتبع نفسه (هواها).. ونظر في ذلك إلى الشرع الحكيم، فإنه يحقق لنفسه والآخرين السعادة، سعادة لا تماثلها سعادة ابداً".

و.. حتى يُلقي (أبو ماضي) - مُذكراً بنعمٍ خفية أو هي مجحودة .. عن (الشكر)، والذكر لها- بهذا العتاب:

أيُّها الشاكي وما بك داء كيف تُمسي إذا غدوت عليلا؟!

إذ الكثير يشكو وربما يتبرّم..!، لظروف عيشٍ أو ضيق ذات اليد، وينسى نِعماً يرتع بها، حُرم منها كثير ممن وُسّع عليهم (ظاهراً) إما بامتلاك المادة أو حوز المنصب.. فحسب!

ولا ننسى أهمية (القناعة) والآتية من الإيمان بأن ما كتب الله حتماً[1] سيحصل- ولا مفر من القدر[2]-

- هي القناعة فالزمها تعش ملكاً   لو لم يكن منك إلا راحة البدن

يكفيك من جمّع الدنيا وزينتها   هل راح منها بغير الطين والكفن-

وهذا يؤكده الحوار القصير الذي دار بين (إبراهيم بن أدهم)، ورجل مهموم في هذه القصة.. - المدونة في كثير من كتب السيرة- :

" .. مرّ إبراهيم بن أدهم رحمه الله على رجل على وجهه علامات الهم، فأراد إبراهيم أن يُزيل عنه هذا الهم، فقال له :

إني سأسألك عن ثلاثة فأجبني:

أيجري في هذا العالم شيء لم يرده الله؟، قال الرجل : لا

(١) حتماً: ذاك الذي لابد من وقوعه، فلا مفرّ منه.. مهما اتخذت من الأسباب ، يقرّب لنا هذا قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة : ٨] ، وسبحانه.. الذي لم يقل: فإنه يدرككم.. فما ظنك بشيء تفرّ منه وهو يلاقيك، وهذا يعني أن فرارك منه هو دنوّ إليه. فكلما أسرعت في الجري أسرعت في ملاقاته – بتصرف/ الشيخ ابن عثيمين-

(٢) .. حتى قيل: (إذا جاء القدر عمي البصر)!- وقيل أيضاً: (لا يغني حذر من قدر)-

قال إبراهيم: أينقص من رزقك شيء قدره الله لك؟، قال الرجل : لا.

قال إبراهيم : أينقص من عمرك لحظة كتبها الله لك؟ قال الرجل : لا.

فقال إبراهيم بن أدهم: فعلام الهم إذاً؟"..

أجل فإنه ﴿ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾ [يوسف : ٩٠] وأيضاً ﴿ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . . فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق : ٣]

.. وهذا (مثال) يقرب فهم القدر، والذي هو : " علم الله في خلقه"، أو هو (سرّه) سبحانه في كافة خلقه. .. والذي: يلزم الإيمان به..

- خيره وشره- بمعرفة أربعة أمور:

١) أن الله ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩].

٢) أنّ ما كتبه الله لكل مخلوق واقع.. {كتب الله مقادير الخلائق قبل خلقهم بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء} أخرجه مسلم.

٣) أن كل شيء بقدر الله: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨]

٤) وأنه .. هو الخالق سبحانه ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦]

ثم.. إن هُناك فائدة- وقلّ من يستحضرها- :

(أنّ ما كل شرٍ بشرّ[1]، ولا كل خيرٍ بخير) وهي - أي هذه المقولة.. أو القاعدة - : موجّهة بالأخصّ لمن يقرؤون بعين البصيرة: ما وراء الخطوب!، .. وهم - والله أعلم- من عناهم قوله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الحديد ٠٢٣) .

قال الحسن – رحمه الله- : (في البلية أمور خفية)، ..

وقال أبو ريشة: **لـمّت الجراح منّا أشلاءنا**[2].

فكم من ألمٍ أنهض الجسد .. حين { تداعى له بالسهر والحمى}.

وخذ هذه (النادرة) بعنوان : "ربما نعم ، وربما لا" :

(.. فقد أحد الفلاحين حماره فطار صوابه[3] أسفاً عليه، وذهب لحكيم قريته شاكياً، فقال له ربما خير لك، وفي يوم آخر وجد حصاناً قرب القرية فذهب وراءه حتى اصطاده، ثم ذهب إلى الحكيم

---

(١) .. وخُذ مثلاً- من (نفعٍ خفيٍ)- : أشارت دراسة حديثة إلى أن النساء اللائي يعانين من "الغثيان" والقيء خلال فترة الحمل تنخفض لديهن نسب الإصابة بسرطان الثدي لاحقاً.
أعلنت هذا (د. جو فرويدنهايم) من جامعة بافالو في نيويورك نتائج هذه الدراسة في بوسطن في مؤتمر سنوي لجمعية بحوث الأوبئة، ..! التي: تُبيّن أن الغثيان والقيء المرتبطين بالحمل لهما علاقة بتقليل الإصابة بسرطان الثدي (لاحقاً) بنسبة ٣٠ في المائة.
- .. وهذا ما ينسحب على (الزُّكام)، و.. الذي يُخرج كثيراً من أكسدة الجيوب الأنفية-

(٢) وكلنا نذكر سبب قيام "الانتفاضة" في فلسطين/ حين دنّست قدمي شارون.. الأقصى!

(٣) عجيب هذا التعبير، وقد جاء في الدعاء: {.. ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا}.

ليخبره أن الخير الذي تفرّسته لي وقع، فكان جواب الحكيم له مُدهشاً: ربما نعم وربما لا! ومن الغد وقع ابنه من الحصان فكُسرت قدمه، فذهب إلى الحكيم وقال له — بعد أن أخبره بما حدث لابنه- : صدقت أنه ليس بخير، فقال الحكيم: ربما نعم وربما لا!

ومن الغد قامت الحرب فاسُتدعي جميع شباب القرية سوى ابنه للعطب الذي في قدمه. ثم قُتل جميع أبناء القرية في الحرب سوى ابنه، فنجى بهذا "الألم" من الموت بالحرب!).

ربما سـرّني ما أحـزنني وربما (ساءني ما كنت منه أفرحُ) [1] **!**

أقول أو أذكر هذه - تأكيداً- ، لأن هناك ما لا يُدرك الحِكمة من ظاهره إلا على ذوي النُّهى- بحق- : كـ (المرض) أجارنا الله وإياكم .. الذي يعي منه الحصيف (مع ما فيه من ابتلاء ورفع درجة وأجر وتكفير) ... إلخ)، من أن به إدراك (فائدتين) قلّ من يؤم بشطر فهمه إليهما:

الأولى: إفاقةٌ من السير خلف هذه {الحلوة الخضرة} [2] التي لا تنتهي ، ولا تنقطع الآمال[3] بها!، لحديث تقدم: { ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب} ..، قال حُميد بن ثور :

---

(١) وفي مثل غربي: (أحذر مما تتمنّاه)!

(٢) كما في وصفه ﷺ .. لها — أي: الدنيا-

(٣) أجل، فإنه لتفنى الأعمار ولا تنقضي الأمال! وفي الأثر: (يشيب ابن ادم ويشيب معه خصلتان: حب الدنيا وطول الأمل)، وقد حذّر المولى - مخاطباً نبيه ﷺ- : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[الحجر٣] ..

أرى بصري رابني بعد صحّة وحسبك[1] داء أن تصح وتسقما

- بمعنى: أنه لو لم يأتك من نقص مُتع الدنيا .. إلا أنّك مُعرّض لأن تصحّ وتمرض.. لكفاك هذا تنغيصاً!-

بل وجاوز الشاعر الآخر .. هذا المقصد بـ :

لا طيب للعيش ما دامت مُنغَّصةً لذاته بـ : ادّكار الموت والهرمِ

والأخرى:أن لذة الإنسان ومتعته الحقيقية في الحياة مرهونة بنقصه![2]

.. فلو أنه وُلد كاملاً لما شعر بعاطفة اللذة، فهو يسعى للحياة جهده، فإذا تحقق له ما يريد كله أو بعضه شعر بلذة النجاح، وإذا لم يحقق ما يُريد رضي إذا كان مؤمناً بربه، وبذل جهداً آخر، وهكذا تسير الحياة، ولهذا كان لزاماً علينا أن لا نُعطي القُدرة البشرية أكبر من حجمها الطبيعي مهما بلغت من القوة والتمكين!

---

(١) إي وربّي ، حسبك منها (داء) .. هذا!، بل ما حالها إلا.. قُلّب :

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نُساء ويوم نسرُّ

(٢) علّق أحدهم على رواية اسمها: (روايةٌ لم تُكتب بعد): بـ: إن سرَّ جمالها في عدم اكتمالها. فبقيت روايةً ناقصةً دون ذروة درامية ودون نهاية محكمة. مثلها مثل معظم أعمال فرجينيا وولف التي نقصُها (اكتمالٌ وجمال)!

لأن فكرة (الإنسان الكامل) فكرة خاطئة ومناقضة لنواميس الكون التي أودعها الله فيه.

وقال النبي ﷺ : { أتاني جبريل فقال : يا محمد ، إن ربك يقرىء عليك السلام ويقول لك إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالسقم.. ولو أصححته لكفر ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالصحة.. ولو اسقمته لكفر.. } الحديث.

ومرام أجلّ حين يعلم أن المصيبة- والمرض .. أحد وخزاتها- ما جاءت لتهلكه وتقتله! وإنما جاءت – كما يوجز " ابن قيم الجوزية" :

(لتمتحن صبره وتبتليه - وهذا في الغالب- ، فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا[1]؟

فإن ثبت اصطفاه واجتباه، وخلع عليه خلع الإكرام، وألبسه ملابس الفضل، وجعل أولياءه وحزبه خدماً له وعوناً له، وإن انقلب على وجهه، ونكص على عقبيه طُرد، وصفع قفاه، وأقصي، وتضاعفت عليه المصيبة وهو لا يشعر في الحال بتضاعفها وزيادتها، ولكن سيعلم بعد ذلك أن المصيبة صارت في حقه مصائب، كما يعلم الصابر أن المصيبة في حقه صارت نعماً عديدة).

لكن هذا الفهم لكي يستقر تحققه (للمصاب).. في الذهن يجب أن يُصحب بعمل ثم.. يرُفد بحُسن الفأل- أي : أملاً بتحقيق المرجوِّ من (العمل)-

(١) والله إنه لمعنى سديد ، لكن لمن يتبصّر به.

قال (عبد الحميد الهاشمي) – وأحسبها من جميل ما قرأت في هذا- : " إن الإنسان المتفائل يسعد مع ثلاث نِعم، نعمة (كانت) ثم زالت فهو يذكرها ويشكر الله عليها.

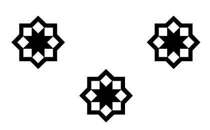
ونعمة (يعيشها) عملياً ويسعد فيها ومعها.

ونعمة (يرجوها) فيعمل لها بكل تخطيط وكفاح وكله أمل أن يصل إليها.

والإنسان المتشائم يشقى مع ثلاث نعم : نعمة كانت فهو يتحسّر عليها لأنه لم يعرفها إلا بعد زوالها، ونعمة هو فيها فلا يراها ولا يعترف منها ولا يشعر بها ، ونعمة كُبرى (يعيش أحلام يقظة) معها دون عمل لأنه مشغول في خيالاته.. فقط".

.. قال حمد الحجي- رحمه الله- :

ألا إنّمــا ســلم الحيــاة (تَفَــاؤُلٌ) تفــاءل تعــش في زمــرة السُّــعداء



وبعــد :

.. إزجاء ما تقدم، أبدأ المادة- وبالله المستعان- بهذه (اللافتة):

أنني لن أجوس[1] هنا، أو لن أُوقف هذا الطرح إلا على ما يخترم الجسد منها، أي: تلك الحسيّة.

كما يذهب ابن القيم إلى تقسيم (الأمراض) إلى قسمين: أمراض القلوب- كالشك والحسد -

وأمراض الأبدان - وهي سائر الأمراض العضوية- أو التي : هي صدد .. ومدار (حديثنا).

لكن.. لا بأس إن أتينا على أمراض القسم الأول، فنذكرها (بإيجازٍ):

مرض القلب[2] في الشكّ والحيرة: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ[3] فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا[4] ﴿١٠﴾ ﴾ (البقرة ٠١٠) وعلاجه - مُوجزاً - من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم

---

(١) جاس : أي جال.

(٢) .. قال في معناها بعض العلماء: " أي مرض الشبهات[*] أو الشهوات "- انظر (أمراض القلوب وشفاءها) لابن تيمية-

- (*).. بخاصة من لديه (غرض)، أي : قاصداً.. في إلقاء شُبهته، وقد قيل : (لا حَىَّ اللّه الغرض، فإنه مرض)!، أو عرضٌ له-

(٣) .. بل وحتى موته - معنوياً- بالكفر ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النحل ٠٢١)

(٤) العجيب أن هذه المفردة التي وردت بـ ٢٤ آية بالقرآن، قَد أتت على عدة معانٍ، كما في إحداها (أعلاه).

مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (يونس ٥٧) ، فالقرآن الكريم .. مع ما فيه من موعظة وتذكير وبشارة للمؤمنين ونذارة للكافرين، فهو- أيضاً- : شفاء للصدور من مرض الشك والغرور والرياء والنفاق والحسد[1] والحقد والغلّ والكِبر والعُجب، وغيرها[2] من الأمراض - أعاذنا اللّه منها- التي لا تدخل تحت حصرنا، ويجمعها: (اتباع الهوى)..

قال ابن تيمية بما معناه: " أعمال الجوارح بعض الأحوال، هذا الإسلام، أما الإيمان هو عمل القلب على الدوام"، كما.. وعلّق

---

(١) بخاصة.. مرض (الحسد) فلا شفاء لصاحبه.. إلا التوبة، قال الشاعر :

اصبر على حسد الحسود ... إن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

بل إن هذا لا تحرص أبداً على التقرّب إليه!

فـ (أخو) الحقد مهما تجامله ... تظل تغلي عليك مراجله

(٢) مما يُصنّفها بعض العلماء : أنها (أمراض العقيدة)، فإن من يدلف قلبه إحداها مُسّت عقيدته، كما قال ﷺ - مقرّباً- : { ثلاثة من كن فيه فهو منافق .. إلخ} فالحسد – مثلاً – قد يحمل اعتراضاً على ما أنعم اللّه به من نعمة/ من الحاسد.. للمحسود، أقصد أعتراضاً (خفياً) يظهر.. تعبيره في هذا، وهكذا- ، وقرّب المعنى قول الشاعر :

ألا قل لمن بات لي حاسدا ... أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه ... إذا أنت لم ترض لي ما وهب

بل ذكر القرطبي- في الجامع- " الحسد أول ذنب عُصي اللّه به في السماء ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف : ١٢] وأول ذنب عصي اللّه به في الأرض، فحسد إبليس آدم في الجنة، وحسد قابيلُ هابيل في الأرض" – أيضاً: والمشهورة: قصة يوسف مع إخوته- قال ﷺ {إياك والحسد، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب}، وفي الحديث المتفق عليه { ولا تحاسدوا}، وقوله زاجراً عنه:{دبّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء} رواه أحمد والترمذي

ابن القيم- على الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾[المائدة٤١] بقوله: (فالقلب الطاهر- لكمال حياته ونوره وتخلّصه من الأدران والخبائث- لا يشبع من القرآن، ولا يتغذى إلا بحقائقه، ولا يتداوى إلا بأدويته ، بخلاف القلب الذي لم يطهّره الله... إلخ).

وهنا يبتدرنا .. السؤال :

هل تود أن تعرف : أقلبك مريض- بالشهوة- أم لا؟ ، فهذا منالٌ سهل: انظر في نفسك إذا ما خاطبتك امرأة ما (دون قصد) بخطابٍ ليّن[1]، فإن تجاوبت نفسك إلى غير مُرادها.. فقلبك مريضٌ بدليل قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب : ٣٢]- أي : مرض الشهوة!- ،إذاً أجرِ فحصاً لقلبك حتى تعلم أنه مريض أو لا..

فإنه مُعرّض كما قال أهل العلم لهذا- .. كابن القيم رحمه الله- لنلقى ربنا كما تمنى إبراهيم عليه السلام: بـ ﴿ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٩] .

وإليك وصفة (دواء) بواسطة الإيمان:

جاء رجل إلى التابعي "سفيان الثوري" – رحمه الله- قائلاً : إني أشكو إليك مرض البُعد عن الله.. فقال : (يا هذا، عليك بعروق

(١) .. ولعل هذا يفسّره حديث: { فإن لك الأولى وعليك الأخرى} أي : أنك معذور بما لم تنوه- ابتداءً- ، لكن.. توقف عندها.

الإخلاص وورق الصبر، وعصير التواضع، ضع ذلك في إناء التقوى، وصب عليه من ماء الخشية، وأوقد عليه نار الحزن وصفِّه بمصفاة المراقبة، وتناوله بكف الصدق وتمضمض بالورع، وأبعد نفسك عن الحرص والطمع، تُشفى من مرضك بإذن الله).

ثم.. فـ التقوى ثلاث مراتب، الأولى : حماية القلب والجوارح عن آثار المحرمات، الثانية : حمايتها عن المكروهات، الثالثة : الحماية عن الفضول وما لا يعني، فـ { من حُسن إسلام المرء: تركه ما لا يعنيه} كذا أرشدنا ﷺ .

فالأولى : تُعطي العبد حياته، والثانية تُفيد صحته وقوته، والثالثة تُكسبه سروره وفرحته وبهجته.

.. ألا فتعلّم بأن تشكر الله على نعمة الإيمان أولاً، ثم على نعمة البصر ونعمة السمع ونعمة (الصحة).. ونعمٌ كثيرة لا تُعدُّ ولا تحصى، .. لأنّه سبحانه: ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] .

وأفضل أو أبلغ درجات الشكر : استخدام (نعِم) الله أو صرفها في مرضاته، سُئل الجنيد بن محمد- وهو ابن سبع سنين- : يا غلام ما الشكر[1]؟، فقال : (أنْ لا يُعصى الله بِنِعَمه).. بالله التفت يمنة ويسرة، هل هناك شيء ليس بنعمة من اللهَ؟!

(١) .. كما سيأتي – تفصيلاً – ص٩٤هـ٢-

.. كما تُدلل عليها هذه (النادرة)- لذوي الفِطر السليمة- :

.. "أصيب ملك من ملوك الصين بسمعه فبكى بكاء شديداً، فحثه جلساؤه على الصبر، فقال : أما أني لست أبكي للبلية النازلة، ولكني أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته".

فكن راضياً مطمئناً لأنك تملك نعماً عظيمة، .. فإن غيرك ربما يفقد بعضها، أو حتى لا يحصل على معظم ما لديك، وتجده- مع هذا- : راضياً بما قسم اللّه له.. بل مرتاح النفس والضمير، يحثه على هذا قول إبراهيم بن أدهم - رحمه اللّه - :الزهد ثلاثة أنواع: (زهد فرض، وهو الزهد في الحرام، وزهد فضل وهو الزهد في الحلال، وزهد سلامة وهو الزهد في الشبهات)..

وحقيقٌ .. أن أخفّ من تلك/ أمراض النفس (في الشهوات[1] والأماني)، ويلحقها - أيضاً- أمراض العقول في الفكر[2] والفهم!، ممن يأخذ موقفاً مُغايراً للحقائق أو يغالط نفسه فيها، والتي عزا سببها أبو الطيب إلى أن :

---

(١) وهي باب واسع، يدخل تحته كلُّ مشتهى إما مُحرّم، أو مباح.. مُفرطٍ صاحبه إثر تحصيله، وقد قال ﷺ: { حسب ابن آدم لُقيمات يقمن صُلبه}.

(٢) والذي غالبه (اليوم) .. مع الأسف: مقصود — أي يأتيه صاحبه/ وهو يعني ما يعني!، فيما عرضت له في رسالتي (يا حملة القلم.. رويداً)-

آفته من (الفهم السقيم) [١]، و يقول أيضاً : :

ومـــن يـــك ذا فـــم مـــرّ مـــريض   يجـــد مـــراً بـــهِ المـــاء الـــزُّلالا

ولهذا فإنه ليكنّى بـ (الشفاء) من بعض عللٍ- كهذه- ، في قول عنتره:

وســـيفي كـــان في الهيجـــا طبيبـــاً   يـــداوي رأس مـــن يشـــكو الصّـــداعا [٢]

و.. قالت ليلى الأخيلية - في الحجاج - :

إذا هبط الحجـاج أرضـاَ (مريضـةً)   تتبّـــع أقصـــى دائهـــا فشـــفاها

أما القسم الثاني (مرض الأبدان)، و.. إن تفلسفتُ قليلاً قلت عنه:

ربما.. أو لعلّه (استراحة) للجسد من اللهث وراء الدنيا[٣] من سكرة[٤] هذه الفانية، أو تنبيها للقلب عن غفلته، و.. الخ.

---

(١) وهذا ما ينسحب حتى على بعض من يقرأ ولا يعي مقصد النص، كما في قول النبي ﷺ: { لو يعلمون ما في الصف الأول ..} . فيُوقف فهمه لهذا الحديثٍ فهماً مخلا بمُراده!
.. فما أن يأتي والإمام في حال الإقامة للصلاة، أو قائماً يخطب الجمعة .. حتى ضايق الصفوف وربما صعد على الأكتاف و .. و..، ليبلغ درجة {.. ليستهموا عليه} ، مما لابدّ أن تنهره بحديث : {فقد آنيت وآذيت} أي : أتيت متأخراً، وضايقت –انظر بسطا أجلى برسالتي: بين صلاتي رجلين، بُعد المشرقين-

(٢) .. هذا معنى مجازي استمحله المتنبي ، فطرقه.. من جهة أخرى في " سيف الدولة" :

ويستكبرون الدهر.. والدهر دونه   ويستعظمون الموت.. والموت خادمـــه

(٣) ولعل هذا (السبب) الذي دفع المسؤولين: أخيراً في "دار المعوقين"(*) إلى تنظيم (تجربة : كرسي المعاقين) لكبار القوم و أمثالهم، ولو لمدة (عشر دقائق) - حتى تبلغهم درجة ما يُلاقي المعاق من مصاعب، وعبء في تحمّل حاله!.. فإن التجربة خيرُ برهان، كما وفي هذا من جهة أخرى: تذكير لمن سلى.. عن نعمة الصحة –

(*) للدكتوره فوزية أبو خالد وصف أجمل: (حبذا أن يُستبدل رسمياً مسمى "ذو الإعاقات" بمسمى "متحدّي الإعاقة" فهو الأقرب للتعبير عن واقع البطولات اليومية التي تعيشها هذه الفئة الغالية).
- وإني أشدُّ.. لا على يديها ، بل على طلبها هذا-

(٤) كما قال تعالى - عن فئةً - : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر ٧٢] .

أجل،فكم إنسان صلح حاله بعد مرض أو (بلاء) دلف رتابة حياته لإيقاظه من سباته.. وليؤوب من جرائه إلى مولاه، أو علّة كانت - بفضل الله - نعمةً عليه.. للعودة لربه فـ: (رُبّ ضارّةٍ نافعةٍ)!، مصداقاً لقول الحق سبحانه: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[1] (البقرة ٢١٦) ، كما..أو (ربما أتت المحن بالمنن) [2].

- والحادثات إذا ألـمّ خطوبها فلها مساوٍ مرة ومحاسن-

قال ابن القيم (لابدَّ من حصول الألم لكلِّ نفس[3]، لكن المؤمن يحصل له الألم ابتداءً ، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والمُعرِض تحصل له اللذَّة ابتداءً، ثم يصيرُ إلى الألم الدائم) [4].

.. و" الابتلاء سنّة من سُنن الله في هذه الحياة، فدار الدنيا دار بلاء ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[البقرة : ١٥٥]، وهذا الابتلاء ميدان تظهر فيه مكونات

(١) ومن تمعّن بما صنع الخضر عليه السلام – سورة الكهف- واستكار موسى عليه السلام (ابتداءً) من تصرفاته، يفقه أكثر.. هذا المعنى.

(٢) كذا أوجز (ابن عطاء الله السكندري)- وعكسها: (يُؤتى الحذر من مأمنه)- ثم .. وقد تقدم ص٢٧ التمثّل بهذا البيت :

ربمـا سرّنـي ما أحزنني وربما سائني ما كنت منه أفرحُ

(٣) قال أبو العتاهية- من خبرته في الحياة- :

ما رأيت العيش يصفو لأحد دون كد أو عناء أو نكـد

(٤)- مختصر (زاد المعاد) ص١٦١ -

النفوس، ومخفيات الصدور، ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ [آل عمران : ١٦٧] والمؤمن الصادق شاكر في السراء، ثابت في الضراء.

وفي حكمة الابتلاء تستيقظ النفوس، وترقّ القلوب، وتصدق المحاسبة، وفي ساعات الابتلاء يتجلى الثبات في الشديد من اللحظات"[1].

.. والخلاصة :

لا تُحمّل نفسك[2] مصائب وهموماً أُخرى، كخسارة ما .. فتؤثّر على صحتك (الجسمية أو النفسية) [3]، فلست الخاسر وحدك، فإن كل أو أكثر من ترى مكلوم ومصاب، لكنهم يتجلدون ويتصبرون، بل منهم من تعدّى درجة الصبر: بالرضا: { ومن رضي فله الرضا} تسليماً للقضاء.. وإلا { ومن سخط فله السخط}- كما في الحديث-

وتجلّدي للشامتين أُريهم أنّي لريب الدهر لا أتضعضع[4]

فلك في هؤلاء عزاء، واصغِ للخنساء – رضي الله عنها- وهي ترثي أخاها صخراً:

(١) .. فضيلة الدكتور: (د. صالح بن حميد) إمام وخطيب المسجد الحرام.

(٢) برافد نقطة (٨)، ص ١٥٦ .

(٣) .. لأن في صنيعك هذا (خسارة) أكبر!

(٤) لأبي ذؤويب الهذلي.

ولـولا كثـرة البـاكين حـولي   علـى إخـوانهم .. لقتلـت نفسـي

أي : تأسياً بما أُصيبوا به! – مثلي –

ثم.. لا شك أن الصبر برهان على رباطة الجأش، وقوة العزيمة، وحُسن الظنِّ بالله، والتفاؤل للمستقبل: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ[1] الأُمُورِ﴾ [آل عمران : ١٨٦]، قال الحكيم:

تجـري أمـور ولا تـدري أوائلـها   خـير لنفسـك أم مـا فيـه تـأخير
فاسـتقدر الله خـيراً وارضـينّ بـه   فبينمـا العسـر إذ دارت.. مياسـير

قال الإمام "شمس الدين ابن قيم الجوزية " – رحمه الله- [2] : (الصبر نصف الدين، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر)، وقد جمعهما القرآن بآية واحدة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم : ٥] – ولاحظ أنه لم يقل صابر، بل (صبّار) بصيغة مبالغة-

.. وهو على ثلاثة أقسام:

إما صبر عن المعصية فلا يرتكبها.

وإما صبر على الطاعة حتى يؤديها.

(١) وهذه منقبة، فإن الله حين فضّل بعض الرسل.. وصفهم بـ: ﴿أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف : ٣٥]

(٢) .. في كتابه " طريق الهجرتين".

وإما صبر على البلية، فلا يشكو ربه فيها.

أما القسمان الأول والثاني، فقد علق عليهما – هذا الإمام- بـ :

(وها هنا مسألة تكلّم فيها الناس، وهي : أيُّ الصبرين أفضل: صبر العبد عن المعصية، أم صبره على الطاعة[1]؟

إلى أن يقول : وفصل النزاع في ذلك أن هذا يختلف باختلاف الطاعة والمعصية. فالصبر على الطاعة المعظّمة الكبيرة أفضل من الصبر عن المعصية الصغيرة الدنيّة، والصبر عن المعصية الكبيرة أفضل من الصبر على الطاعة الصغيرة. فصبر العبد على الجهاد مثلاً أفضل وأعظم من صبره عن كثير من الصغائر، وصبره عن كبائر الإثم والفواحش أعظم من صبره على صلاة الصبح[2] وصوم يوم تطوعاً ونحوه، فهذا فصل النزاع في المسألة والله أعلم).

---

(١) .. انظر في ما يأتي : ثنايا هامش (٢) ص ٧٥.

(٢) يقصد : ركعتي ما بعد الشروق – الضحى- ، ثم أوضح بما معناه:
إذا أردت أن تعرف العبد فانظر له حال قدوم الشهوات هنا تظهر العبودية لِلهِ، لا في ركعتين يؤديها.

أما القسم الأخير (من أقسام الصبر): فهو محل بسطنا بهذه (المادة).

.. وقد ألمّ بي - وأنا أُعدّ الكتاب - وعكة صحيّة، فوجدت ذلك عملياً: أن المرض ليس كله شر، بل فيه خير (قد) يُغيّب سهواً عن ذوي الماديات الصرفة، أو يُغيّب عن ذوي الأهواء: عقوبة[1]!

.. بل إن فيه تهدئة الروع وتقليلاً من التعلّق بالدنيا، وأعظم من كل ذلك: في اللجوء إلى الله، ثم .. لإعطاء النفس حقها[2] من الخلود للراحة!، للحديث : { إن لنفسك عليك حقاً..} أخرجه أحمد.

.. وقد يكون مناسبة لإعطاء أخلاّئك فرصة.. بخاصة أولئك الذين لن يحيد تعبيرهم (لك) — عندها - عن قول الشاعر :

لأنتم.. وإن ضنّ الزمان بقربكم ألذّ إلى قلبي من البارد العذبِ

فلا تحسبوا أن المحب إذا نأى وغاب عن العينين..غاب عن القلبِ[3]

---

(١) وكلا الأمرين.. تفريط يحصل لصاحبه — إن لم تكن (عقوبة) غير مباشرة، فهي مع الألم.. (المرض نفسه)!-

(٢) لأن من مسلمات المسلم أنه — كما في حديثٍ تكرر معنا: { لا يملاء جوف ابن آدم إلا التراب}.

(٣) فالواجب في هذه الحياة لا أن نذكر أحبابنا فحسب، بل أن نتواصل معهم.. لتسعد (بهم) قلوبنا أُنساً ومخالطة وتسلّيا معهم.. لأنهم: أعزّ ما نملك.

أي: ليعبّروا عمّا يكنوّه لك في سرائرهم[1]، .. أو هو (قياسٌ) - غير مقصود رميه- .. لما لك[2] في أفئدة المحبين/

مـرِض الحبيب.. فعُدته فمرضت من وجدي عليه
وأتى الحبيب يعودني فشفيت من نظري إليه

.. والعكس صحيح، حتى وإن كانت بوادره غير ذلك[3]، أي .. لمن لا يستقرىء بعين البصير ما يُصيبه، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الأحقاف ٠٢٤)! والعارضُ المقصود: أي السحاب وما فيه من خيرٍ كـ (الغيث).. فكان وباله عليهم : عقوبة[4]!

بل وكان من أسباب التصبّر لدى الصالحين، أن البلاء أهون مما هو أعظم منه!، قال الشاعر – في عجز بيت- :

حنانيك، لبعض الشر أهون من بعض

حتى أطّر من هذا المعنى "عمر" رضي الله عنه بقوله :

(١) بـ (عافاه اللّه وشفاه .. وأعاده لنا كما عهدناه).
(٢) قيل: (قد ينسى المرء كنزا رآه أو ذهباً اشتراه، لكنه لا ينسى شخصاً أحبّه في اللّه).
(٣) .. وكما تقدم – في هامش (١) ص٢٦-
(٤) ولعل هذا ﴿ نَكَالاً مِّنَ اللهِ ﴾ [المائدة : ٣٨]، وهم يستحقونه بلا ريب – كما في هامش (١) فيما يأتي ص٤٧- .. قال ابن الجوزي – في صيد الخاطر- (أعظم العقوبة أن يعاقب المرء ولا يحس بذلك، وأشد من ذلك أن يداخله السرور بما يُعاقب به)!.

قد يُنعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بالقوم بعض النعم

- قال تعالى ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٥ :٥٦]

وقد أدرك بعض من أعمل عقله. هذا، قال أبو بكر بن ضيف اليربوعي: (وما كرهي وقسوة قلبي على من عاديته وآذيته بدهاء وسر.. إلا من مقدمات انتقام اللّه).

(ما أُصبت بمصيبة إلا فرحت منها بأربع : أنها لم تكن في ديني، وأنها لم تكن بأعظم منها، وأنني لم أُحرم الرضا عند نزولها، وأنني أرجو ثواب الله عليها).

فعلى الإنسان – مع الاحتساب- الصبر[1]: قال "عمر بن عبد العزيز" - رحمه الله - :

(ما أنعم الله على عبدٍ نعمة، فانتزعها منه، فعاضه مكانها الصبر، إلا كان ما عوّضه خيراً مما انتزعه)، لأنه مُفضٍ لخيرٍ أعمّ، قال عمر رضي الله عنه: (إنّا وجدنا خير عيشنا في الصبر).

وأوجز " سليمان بن القاسم " أن: (كل عملٍ يُعرف ثوابه إلا الصبر[2]، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ[3] أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر١٠]، أي : كالماء المنهمر).

بل.. إن الواجب أن يحمد الله أنه لم يكن - أي البلاء - بـ : الدين ، للدعاء المأثور: (اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا..)! وذاك لأنه يقيناً أن "الابتلاء" واقعٌ لا محالة.. ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[العنكبوت٢] — فـ :

---

(١) الصبر – إيجازاً- : (حبس النفس على ما تكرهه).

(٢) .. وهو : نوعان: الأول: على أقدار الله في الكون – كـ (الزلازل) .. الحريق- ، أيضاً: أقدار الله في الإنسان، كالمرض، والآخر: على أوامره، إما مطالبة الشرعية، أي: العبادات، أو عن نواهيه: المعاصي.

(٣) قال الإمام أحمد: أُمر بالصبر في القرآن في ٩٠ موضعاً.

المـرء رهـن (مصـائبٍ) لا تنقضـي حتـــى يوسّـــد جســـمه في رمســـه[1]

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله- : (هكذا حياتنا، إنها تسرّ قليلاً، وتجرّ همّاً كثيراً)، .. من قوله تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد : ٤]، وإذا سلّمنا بهذا (النص) إيماناً ويقيناً، فعلامَ الجزع الظاهر.. على غالب المحيّا؟!

لكن هنا مسألة نبه إليها "الشيخ يوسف بن محمد المطلق" - ألبسه الله رداء العافية- ، بقوله :

(لا يحسن بنا أن نقول اللهم اجعلنا من الصابرين، لأن من قال اللهم اجعلني من الصابرين، فقد دعا على نفسه بالابتلاء، ولكن ليقل اللهم أوسع لنا بالعافية).

وفي الأثر: (اللهم اجعلنا من عبيد الإحسان، ولا تجعلنا من عبيد الامتحان)[2].

وعلق أحد السلف (سلاّم بن مطيع) على الحديث الذي أخرجه في صحيحه عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ: {إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزال يبتليه بما يكره حتى يُبلّغه إياها} بـ : اللهم إن كنت بلّغت أحداً من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلّغنيها بالعافية.

كما.. أن الرسول ﷺ قال في دعائه لما أخرجه أهل الطائف: { إن لم يكن بك

(١) .. والرمس أي : (القبر).

(٢) لكن إن أتى (كابتلاء) من الله، فهنا يلزم التسليم به كقدر، ثم اليقين أنه بالفعل اختبار من الله- كما في الحديث ص ١٨٩-

غضب عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي} ، وروي أن العباس لما طلب من الرسول ﷺ أن يعلمه دعاء، قال له : {سل الله العفو والعافية، فإنه ما أعطي أحد أفضل من العافية بعد اليقين} ، وقال الحسن: الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر، فكم من مُنَعم عليه غير شاكر، وهذا أظهر من أن يحتاج إلى دليل.

فينبغي أن نسأل الله تمام النعمة في الدنيا ودفع البلاء عنا، لكن إذا ابتلى العبد ببلاء فينبغي له الصبر والرضا بقضاء الله عليه.

يرفد هذا قول الإمام سفيان بن عينية: (إني قرأت القرآن فوجدت صفة سليمان عليه السلام مع العافية التي كان بها فيها: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[ص : ٣٠] ، ووجدت صفة أيوب عليه السلام مع البلاء الذي كان فيه: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[ص : ٤٤] ، فاستوت الصفتان، وهذا معافى، وهذا مبتلى ، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا كانت العافية مع الشكر أحب إلي من البلاء مع الصبر.

وللدعاء الجامع: (اللهم إني أسالك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم)، وأيضاً: { اللهم إني أعوذ بك من طوارق الليل وطوارق النهار إلا طارقاً يطرق بخير} .. وكذا : دعاءً: { وأعوذ بك من تحوّل عافيتك، ومن فُجاءة نقمتك، ومن جميع سخطك..} .

وبعدها.. فلا غرو أن هذا الإنسان الذي كما بيّن المولى تعالى.. ولكافة بني الإنسان، أنه: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾[الروم : ٥٤] وأنبأ عنه أيضاً خالقه سبحانه تأكيداً.. بـ : ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء : ٢٨] و الذي ما إن يمسّه نفحة من خير إلا وفرح بها.. أو تكبّر قائلاً ﴿هذا من عِندِي﴾ وإذا ما مسّه الشر فهو ﴿يَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت : ٤٩]، .. أو متعجّل للشفاء، .. بـ﴿دُعَاء عَرِيضٍ﴾ [فصلت : ٥١]، قلما يصبر أو يحتمل، حتى ولو في سبيل نيل درجة الصابرين، أو لعلّهُ أمل أن يبلّغه البلاء مقام المبتلين .. - ولا أُعمم، فإنما أعني بهذا النهر: أولئك أهل (الجزع) [1] الخليق بأمثالهم أن ينحو فعلهم- .

وعن هذا نُنبّه إلى "ظاهرة مؤسفة" ألفت إليها فقيد التربية (حسن آل الشيخ) - رحمه الله - :

(أن لا نجد لذّة الضراعة إلى الله ودعائه إلا خلف أبواب غرفة العمليات.. أو حول أَسِرّة المرضى ..)، وكيف -بالله- : يكون هذا سلمنا، أو حتى أدبنا مع من غمرنا بنعمه وآلائه التي لا تحصى[2]!، مع إيمائةً في الزجر عن هذا، ما جاء في الحديث: { من أراد أن تُستجاب دعوته في

(١) والشاعر (الجاهليُ) يقول :

فلا (تجزعنّ) لحمام أتــى فللمــوت ما تلد الوالـــده

- و .. هذا في حال الموت، فما بالك بما دونه (المرض)!-

(٢) فضلاً عن أن تعُدَ : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[إبراهيم : ٣٤]

الشدّة، فليكثر الدعاء في الرخاء}[1]- رواه الحاكم- كافية لمن: ﴿ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧]!

وبالمناسبة: لئن كان من عظيم نِعم الله على العبد أن يُسخّر له من يعظه وينصحه ويذكره : ﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٧٥].

والأجلّ من هذا ما قال التابعي محمد بن سيرين: (إذا أراد الله تعالى بعبده خيراً جعل له واعظاً من قلبه).

.. فإن من عظيم النعم أيضاً أن يُوقظ[2] الساهي أو الغافل (تذكيراً) إلى ما يرفل[3] به من نعم.. بأمر عارض (كالمرض)، لئلا يتمادى أو يذهب به ضعفه البشري إلى أن هذا (ثباتُ) حاله – أي: دائم

(١) ولعله بنفس قياس سياق هذه الآية ﴿ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ [الجاثية : ٣٤] .. فالجزاء من جنس العمل- كما في القاعدة- .

(٢) فإن (الوعظ) على حالين، إما أن يأتي نصحاً بقول يدخل القلب، أو أسلوب يخلب اللب : { إن من البيان لسحرا} ، وكذا.. أوجز أحد الوعاظ بإسدائها لمن عُرف عنه إهماله الكامل للصلاة.. بالقول له: " ليس بينك وبين أن تُعذّب في النار ﴿ خَالِدًا فِيهَا ﴾ [النساء : ١٤] إلا أن تموت، وأنت قد تموت الآن.. "!

فكانت هذه (الجملة) البسيطة.. موقظة له من سبات وموجزة له عن كل نُصح!

أما الحالة الأخرى- في النصح- .. حين يأتي من موقف أمام المسرف على نفسه (كما سيأتي ثنايا هامش (١) ص ١١٨)-

و.. كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾ [الإسراء : ٨٣] هذه أحد ما طبع عليه هذا الإنسان الضعيف، وسببه – والله أعلم- أنه (ما أطال الإنسان الأمل، إلا وأفسد العمل) وينسى التوجيه العظيم: {خذ من صحتك لمرضك} ، أي : اعمل وأنت (صحيح) قادر، لكي يعذرك مولاك حال الألم والضعف والشيب.. لكن من يعي؟!

(٣) حتى دعا أحد الصالحين: (اللهم عرّفنا نعمك بدوامها، ولا تعرفنا بها بزوالها).

- ، فإن الغالب عندها: ﴿لَيَطْغَى*أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق : ٦، ٧] بفهمه القاصر: عن مؤزارةٍ من ربه له، أو يَحسبُ أن ما فيه كافٍ له عن عونه وتوفيقه، فإنه عندها يبلغ درجة من: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهُمَزَة : ٣] أو حتى تمام صحّة أو قوّة جسده باقيين .. لا ولن يعتريهما طارىء!، فضلاً عن (موت) زُؤوام[1].. لا شك آتٍ.

فإن هذا أحرى أن يُكبر لصنيع كـ (هذا) التذكير- مهما كان نوعه- ، لأن في هذا إفاقة له من (سكرة) قد لا يفيق منها إلا وهو في الثرى! .. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف : ٤٩] – فالغفلة مأساة، وذكر الله منجاة-

.. هذا وقد أفاض ابن عون: (ذكر الناس داء، وذكر الله دواء)، ويُعقّب الذهبي بقوله: (إى والله، فالعجب منّا ومن جهلنا، كيف ندع الدواء ونقتحم الداء)- وكم أجاد القائل :

إذا مرضـنا تـداوينا بـذكركمُ ونـترك الـذكر إخـلالاً فننـتكسُ-

.. ولكن – وهذا الشاهد- لا يتهيأ أي الذكر، ثم قبوله.. إلا بتوفيق من الله[2]، فاسأله دائماً التوفيق والعون .. مع التكرار في (الإلحاح) عليه، لأن: (من قرع أربعين[3] يوشك أن يُفتح له).

قال ابن تيمية (ربما تمرّ بي مسألة عويصة، فأدعو الله - كثيراً- بـ : " يا معلّم إبراهيم علّمني، ويا مفهّم سليمان فهمني ".. فتنفرج علي) .

(١) أي : متحقق.
(٢) للدعاء الجليل (اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه..) الخ.
(٣) .. وكما سيأتي في هامش (١) ص٩٢.

أخيراً:

هناك ما يُسمى لدى أهل الاقتصاد بـ (الخط البياني) الذي يظهر لك هل الشركة خاسرة - .. ولو في المجمل- أم رابحة، وهذا ما يجب أن تعرض أو تستعرض به حياتك.

أي : هل أيام الخير والصحة والرزق.. إلخ أكثر، أم تلك الأيام التي حاشاك به من صوارف الدنيا ما غشاك أو مسّك بها ألم، أو أقعدك فيه المرض[1]؟.. والمولى تعالى يُومىء إليك بـ ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس : ١٠٧] فانظر ثم دقق بين لفظتي: يمسسك، وبين: يُردك.

فإنه .. وهذا هو الأولى بالعبد، فإن لم يتأدب!، فعلى الأقل : (العدل) [2] مع خالقه، وذلك بجعل (رصيد) له – أي: تذكّرٍ لنِعمٍ

(١) كما وأن هناك قياساً آخر بالأمور المادية: هل أكثر من حولك دونك أم مثلك أم أعلى منك؟ .. لتعرف نعم الله ، ولا تكن ممن قال فيهم الحق سبحانه: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل : ٨٣]

(٢) وهذه للعلم: أقل شروط (الشكر)- التي قررها جملة من أهل العلم بـ :
أ) الخضوع للمنعم. ب) الحب له. ج) الاعتراف له.
٤) كثرة الثناء عليه.. ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ* وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم : ١٧- ١٨]

سابقة- ، والله يؤدبنا حين (يُقرّب) لهذه.. في التفاتة عجيبة لهذا المعنى ـ بين الزوجين ـ : ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة : ٢٣٧] أي إذا ما حدث تقصير من أحدهما في أمرٍ ما، فكم لهذا المقصّر من مواقف إيجابية (سلفاً) لا تُعدّ!

وإذا كان هذا (تذكيراً) في حق من له عليك حقٌّ من العباد، للحديث: { لا يشكر الله من لا يشكر الناس} ، فإنه في حق مولاك أولى[1].. وأكبر!

قال ابن القيم (طوبى لمن أنصف ربه، فأقرّ له بالجهل في علمه، والآفات في عمله، والعيوب في نفسه والتفريط في حقه..) إلخ- الفوائد ص٤٩-

وفي الجملتين الأخيرتين مقتضى شاهدي .

قال محمود الوراق :

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله   على نعمٍ ما كنت قطّ لها أهلاً

وتقريبُ هذا أن تُردد عندئذٍ: لئن أَمرضتني، فكم من قبلُ صححتني؟ أو بمعنى : إذا مرضت أياماً، فكم من سنة عافاك!

---

(١) .. لأن هذا (الابتلاء) مهما عظم.. فإنه صغير أو لا يُعدّ.. إذا ما قيس أمام منح وعطايا ربّك.

وهذه جزئيةٍ من سالف نعمٍ (أَنعم بها عليك)، وهكذا- .

ثم إن هذه – أي: تذكّر ما سبق عن نِعم- فضيلة قلّما يُلتفت إليها.. مع الأسف !

والعدل – الذي قصدناه- هو .. على نوعين:

الأول : عدل الله بخلقه ، وأدناها أنه أعطى كُلاً بما يوازن قدراته: ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه : ٥٠] .

والثاني: عدل المخلوق مع خالقه، بمعنى:

إن لم يشكره على ما خفي عليه.. فعلى الأقل أن ينظر إلى نِعمه التي لديه (الآن)- .. ويفقدها آخرون!-

ودلالةُ هذا .. أتت (استرشاداً) بنبي الله " أيوب" – عليه السلام- والذي ذُكر عنه ما جاء في الحديث أنّه: {بقي في بلائه ثمانية عشر سنة} .. فأيُّ درجة صبرٍ[1] بلغ؟!

ثم: ﴿ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص : ٤١] فأتاه الخطاب الإلهي : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ[2] هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص : ٤٢].

(١) .. حتى جاء في الأمثال : (صبر أيوب)!

(٢) معلوم أن الركض بالرجل (القدم) لكن أتى ذكرها – والله أعلم- : كأولى بشائر الصحة/ أن دبّ فيها الحياة.

ولئن قال ذلك المعذّر: هذا نبي!، فهاك صنيع عروة بن الزبير[1] - رحمه الله - حين أُصيبت قدمه، وقرر الأطباء قطعها ، فقال: إذا قمت إلى الصلاة فاصنعوا ما شئتم، ثم قام للصلاة ، فلما بتروها أُغمي عليه، فلما أفاق، قيل له : أحسن الله عزاءك في قدمك، وفي ابنك محمد، فقال : (الحمد لِلهِ أعطيتني أربعة أعضاء- القدمين واليدين - وأخذت عضواً، وأعطيتني أربعة أبناء وأخذت ابنا، فأنت المتفضّل صاحب الجميل) [2]، ثم نظر إلى رجله في الطست بعد ما قُطعت فقال: (إن الله يعلم أني ما مشيت بك إلى معصية قط وأنا أعلم).

أيضاً.. من ذاق ألم الأمراض عرف بعد ذلك قيمة الصحة، وكم نسبة مرضه إلى نسبة صحته، رُوي أن الفضيل كانت له بنت صغيرة فمرض كفها فسألها يوماً: يا بنية، كيف حال كفك؟ فقالت: يا أبت بخير، والله لئن كان الله تعالى ابتلى مني قليلاً فلقد عافى الله مني كثيراً، ابتلى كفي وعافى سائر بدني، فله الحمد على ذلك.

(١) المتوفى سنة ٩٤هـ، وهو : ابن ذات النطاقين(أسماء بنت أبي بكر) رضي الله عنهم، وقد صدق الزهري بوصفه (هذا الذي لا تكدّره الدلاء).

(٢) انظر: كتاب (٣٤ قصة للمعتبرين) لشعبان العدوي.

كما أن في مثل هذه النماذج بالشكر.. يتضح لنا أن (الشكر) ليس باللسان فحسب – كما قد يظن .. من آل به فهمه القاصر إلى هذا، أو .. حتى أوقفه على هذا!-

صـــورة :

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [هود : ١٠] جاء في تفسيرها: "يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان، أنه جاهل ظالم : بأن الله إذا أذاقه منه رحمة كـ (الصحّة) والرزق والأولاد، ونحو ذلك ، ثم نزعها منه فإنه يستسلم[1] لليأس أو ينقاد للقنوط ، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردّها أو مثلها - بل.. حتى خيراً منها - عليه.

فهذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من وفّقه ربه- جعلنا الله من الموفقين- .. وأخرجه من هذا الخُلق الذميم إلى ضده، وهم الذين صبروا أنفسهم عند الضراء فلم ييأسوا، وعند السراء فلم يبطروا وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات"[2].

(١) .. إلا ما شاء الله، قال أحد الشعراء.. مقرّباً:

يُقضى على المرء في (أيام محنتــه) حتى يرى الحسن فيما ليس بالحسن

(٢) بتصرف.. من تفسير (عبد الرحمن السعدي)- رحمه الله- ص٣٧٨ .

وقال الرسول ﷺ :

{ إذا نظر أحدكم من فُضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه} .. وكذا حديث:{ انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزردوا نعمة الله}رواه البخاري ومسلم.

ومَن المسلَّمات: أن الناس في هذه الحياة الدنيا يتفاوتون في مقاماتهم فهم درجات تختلف صعوداً ونزولاً حسب الغِنى وحسب العلم وحسب الخُلق والخَلق، وهذا يوجزه قول حافظ إبراهيم:

فالناس هذا حظه[1] مال وذا علم وذاك مكارم الأخلاق

وصح عند الترمذي: { ارض بما قسم الله لك، تكن أسعد الناس} ، وقد قرأت تحت عنوان (كُن مع الله) :

---

(١) انظر ما سوف يأتي في مطلع ص ١٦٩

.. لكن هناك مشكلة لذوي السقم (الشهواني)!.. فهو ينظر إلى ما لدى (الآخر) من نِعم تنقصه. ولا ينظر إلى ما لدى ذلك من نقصٍ .. وهو يملكه!! أي باختصار: أنه ينظر إلى ما ليس عنده وهو موجود عند الآخرين، ولا ينظر لما لديه (زائداً) عن الآخرين.

" إذا وقعت في أزمة، فتذكر كم أزمة مرت بك ونجّاك الله منها، حينها تعلم أن مَن (عافاك في الأُولى سيعافيك في الأخرى).

.. وكرر قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) فإنها تشرح البال وتصلح الحال وتحمل بها الأثقال وترضي بها ذي الجلال.

أيضاً.. و(أكثر) من الاستغفار – فهو مزيل ناجع للهم[1]-

وأيضاً: معه الرزق، والفرج، والذرية[2]، والعلم النافع، والتيسير، وحطّ الخطايا.

وإياك و (الذنوب)، فإنها مصدر الهموم والأحزان، وهي باب (المصائب والنكبات)"، قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: ١٤] – تفسيراً لـ: الران: " هو الذنب بعد الذنب.." !



(١) كما سيأتي – ص ١٥٣-

(٢) .. وتأمّل جلياً في سورة (نوح).

محاسن المرض

سؤال .. يسبق عرضنا:

هل المرض (ضرورة) للإنسان؟

هناك – بالغالب – من يكون لهم المرض ضرورة، لأن في غشيان الجسد بالعلة –لدى أولئك- .. حِكماً[1] تنفعهم، وأسباباً يجعلها الله تذكيراً.. وتعريفاً لهذا الإنسان الضعيف: عن حاجته الملحّة (أبداً) لربه، وأنه لا غنى له عنه سبحانه، ثم بيان له عن مواطن ضعفه التي قد تختفي خلف غرور ذاته أو قوّته!، فيزعم – هذا المسكين- لنفسه: أنها بلا علل، ثم تنحو بهذا (التعليل) الواهي: أنها بغنى من أي رافد[2]!

ومن جهة أخرى قال (د. مصطفى السباعي) رحمه الله :

(لولا الألم لكان المرض راحة تحبب الكسل، ولولا المرض لافترست الصحة أجمل نوازع الرحمة في الإنسان، ولولا الصحة لما قام الإنسان بواجبٍ، ولا بادر إلى مكرمة، ولولا الواجبات والمكرمات لما كان لوجود الإنسان في هذه الحياة معنى).

---

(١) .. انظر (إيضاح) ما تقدم- ص ٣٧، وما بعدها-

(٢) .. كما تقدم ص ٤٧ وما بعدها.

ثم تعليل من وجهٍ آخر: أن متعتك الحقيقية بالشيء يأتي بعد فقدك إياه، وإلا فابن الغنيّ لا يحفل كثيراً بتكاثر المال، لأنه لم يجرّب الحال المضادة: الفقر!

.. أيضاً تفيض المتعة فيه لديك حين يعود بعد فقدك إياه.. كالصحة، فإنها إن أتت بعد (مرضٍ) يكون لها لديك مذاق آخر، قال طيّب الذكر الفقيه "علي الطنطاوي" [1] - رحمه الله- بعد ما شفي من ألم ألمَّ به:

(الناس تأكل لتعيش، أما أنا فأعيش لآكل) قصده "نهماً" للأكل.. بعد ما عُوفي من علّة.. حرمته لا أقول الأكل فقط، بل حتى الاستمتاع به - .. أيضاً-

وقد لا يعدم حاسداً أو من سهم عائن: إذا ما أخفى (تصبّراً) كل ما قد يجتاحه من ألم!

.. إذاً :

هل تعلم - عندها- أن في المرض (خيراً) ومنافع.. إن لم تغب أو تُغيَّب عن الكثيرين .. فإنهم حتماً يذهلون عنها ، بخاصة ممن لا يفترّ بهم فهمهم إلى مرام هذا الخير بل قُل الخيرات المغيّبة ، ومنها[2] :

(١) في : مطلع أحد عناوين كتابه (حديث النفس).

(٢) أي لا أحصرها بهذه، ولكن (مما) يحضرني، أو بلغتهُ منها..

أولاً
أجـــر وطهـــور

أي: تكفير ذنوب، كما في دعائه ﷺ حين عاد مريضاً : {لا بأس، طهور إن شاء الله} ، رواه البخاري، وفي الحديث قوله لعائشة رضي الله عنها: { لا تسبّي الحمى[1]، فإنها تُذهب خطايا بني آدم كما يُذهب الكير خبث الحديد} رواه مسلم.

هذا من ناحية (الأجر)، أما من منافعها:

أي (الحمى) وهي المعروفة الآن بالملاريا، وللإضافة: ففيها منافع للأبدان لا يعلمها إلا الله، حيث إنها تذيب بعض الفضلات وتتسبب في إنضاج بعض المواد الفاسدة وإخراجها من البدن، ولا يمكن أن يصل إليه دواء غيرها، يقول بعض الفضلاء من الأطباء: إن كثيراً من الأمراض التي نستبشر فيها الحمى، كما يستبشر المريض بالعافية، فتكون الحمى فيه أنفع من شرب الدواء الكثير، فمن الأمراض التي تتسبب الحمى في علاجها مرضُ الرمد والفالج واللقوة- وهو داء يكون في الوجه يعوج منه الشدق- .

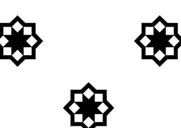
أما نفع الأمراض بعامة/ الأجلّ: عن أبي بكر الصديق ﷺ قال : يا رسول الله: كيف الصلاح بعد هذه الآية : ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء : ١٢٣] ، وكل شيء عملناه جُزينا به؟،

(١) فهي - أي : الحمى - { إنها نصيب المؤمن من نار جهنم} .. كما في الحديث.

فقال : { غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض؟، ألست تحزن} قلت : بلى، قال : { هو ما تُجزون به} رواه أحمد وابن حبان – وهو صحيح بمجموع طُرقه-

وهذا مع التسليم بـ : {قدّر[1] الله وما شاء فعل}- كما في الحديث - .. وهذا هو الواجب على المؤمن فعله من أوّل ما يُبلى بأي (داء) مع استحضارٍ بإيمان قوله تعالى .. ولو بقلبه: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة : ٥١] واللافت هنا: فيما أشار إليه ابن هبيرة: " أنه لم يقل إلا ما كتب علينا، وإنما (لنا)، دلالة أنه في صالحنا[2]، أي: أجر لنا، فإن كان خيراً فهو معجّل في الدنيا، وإن كان شراً فهو أجر مؤخر - أو دفع عن عقوبة أكبر - في الآخرة" - ..، فلن يعدو: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ﴾ [التوبة : ٥٢]-

فإن للمريض (إن صبر واحتسب) عظيم الأجر، لحديث: { عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس هذا إلا للمؤمن، إذا أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له}.



(١) .. فقد خلق وقدّر – كما.. وحين شرع يسّر -
(٢) انظر – تقريباً لهذا – في مطلع قول عمر رضي الله عنه في بداية ص٤٣.

ثانياً
قد يكون من علامة حبّ الله

فإنه سبحانه إذا أحب عبداً ابتلاه، وكما في صريح الحديث : {من يُرد الله به خيراً يُصب منه} رواه البخاري.

وأخرج الترمذي وابن ماجه حديث : {إن عِظم الجزاء، مع عِظم البلاء} ، لأن الثواب بقدر المصاب، والأجر آتٍ.. بالصبر، والجزاء مع العزاء بالله أنه هو المبتلي والمُعافي، قال (ابن عطاء الله السكندري):
وخفّف عني ما ألاقي من العنا بأنّك أنتَ المبتلي والمقدر

.. وكما قرّب هذه (النقطة) ابن ظفر الصقلّي .. أن
على قدر فضل المرء تأتي[1] (خُطوبه)

وشاهد هذا قوله ﷺ: {إن أشدّ الناس بلاءً الأنبياء[2]، ثم الأمثل فالأمثل} ، وحديث:{ إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم} وهما في الصحيحين.

وللدكتور (عمر عبد الكافي) لافتة جميلة.. في هذا :

(هناك من إذا ابتُلي شكر، وإذا لم يُبلى صبر)!، فلما سُئل عن معنى هذا ، قال : (تزوّجت جارية من رجل، فلما مضى على زواجهما

(١) وأيضاً: قال الحكماء: على قدر همتك، تكون همومك.
(٢).. وفي مقدمتهم (محمد) ﷺ ، القائل: {ما أُوذي أحد في الله كما أُوذيت}.

ستة أشهر، طلبت منه الطلاق، وحين سئلها عن السبب؟، قالت تعجباً، أو استنكاراً عليه[1]: كل هذه المدة ولم تُصب بأذى ولم تشتك من مرض.. ما هذا، أين موقع البلاء لمن أحب الله.. منك؟!).

.. ولهذا لا غرابة أن يقول بعض الصالحين: (اللهم لا تبلانا، فتفضحنا)! - أي خوفاً.. لعدم الصبر، أو الجزع من القدر ، أو حتى ما يبدو.. كالأنين منه- وهو: الصوت.. الذي يصدر من جراء الألم-

وقال أحد الدُعاة :" وأنا ذاهبٌ للحج، حدث ما أعطب المركبة فقلبت بنا،فأوّل ما خرجت من السيارة.. قمت فسجدت شُكراً لِلهِ، فلما سُئِلت ممن شهد الحادث: هل هذا (شكراً) لسلامتكم؟، أجبت: أبداً، ولكن لابتلاء الله لي.. (شهادةً) أنه يُحبّني"

لكن هذا - أي القياس : أهو ابتلاء ورفعٌ للدرجات، أم غيره!- .. يعود إلى حال الشخص، إن كان صالحاً، وإلا فقد يكون (إن كان مسرفاً على نفسه).. لتكفير سيئاته، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ[2] ﴾ [الشورى ٣٠].

---

(١) أي كأن لسان حالها يقول : أنت لست محبوباً من الله، والدليل على ذلك: أنهُ سبحانه وتعالى لم يبلاك!- وبعد كل هذه .. المدّة! -

(٢) و.. كما سيأتي – في ص ١٣٢-

وقال النبي ﷺ : { إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافى به يوم القيامة} أخرجه الترمذي وحسّنه.

فلعل هذه (علامة) تنبيه من ربّك "الرحيم".. لك، لأن (العقوبة) تكون أحياناً نعمة[1] للفطِن.. تسبق – إن لم يتدارك المُعاقب- : النقمة.. التي لا تبقي ولا تذر، للحديث: {إن الله ليمُهل للظالم، حتى إذا أخذه لم يدعه}!

أو هنا الفرق بين مرض أو (بلاء) المؤمن وبين مرض الكافر: أخرج الإمام أبو داود عن عامر مرفوعاً: { إن المؤمن إذا أصابه سقم ثم عافاه منه كان كفّارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل، وإن المنافق إذا مرض ثم أعفي كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ولم أرسلوه}.

ثم.. نموذج أحسبه من الصنف الأول: حديثاً.. ما حدّث به صالح البهلال عن "د. علي الجمعه" - رحمه الله- (تأبيناً):

---

(١) وهنا ملاحظة .. أو (تذكير) – لأحد محاسن البلاء- : أن العقوبة قد تكون (أحياناً) تذكيراً.. عن الخطأ الصادر منك، لأن هناك من لا يهتم بما وقع منه، ولا بصاحبه، وهذه - أي : الأخيرة- : من أخطر الآفات على الإنسان - كما بيّن هذه النقطة د. صالح اللحيدان/ .. في كتابه "يسألونك"، وقد صدر منه بعض الأجزاء-

"أُصيب بالسرطان في القولون، وانتشر حتى عم الكبد والرئتين؛ وكان يُعاني من ذلك بشدة، إلا أنك لا تراه إلا صابراً محتسباً، حتى إن الأطباء في ألمانيا حين كان يُعالج عندهم، يقولون: (نحن موقنون بأنه يتمتع بقوة روحانية نجهلها) — أجل، فـ:

آيـة المـؤمن أن يلقـى الـردى باسِـمَ الثغـر سـروراً ورضـا[1]

وفي ساعة وفاته - رحمه الله - كان لا يفتأ من ترداد[2]: ﴿ربي أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] مخللاً إياها نطقه بالشهادتين حتى قضى نحبه، رافعاً سبابته، فهنيئاً له هذه الخاتمة".

.. أخذاً هذا مما سطّر أوائلنا، قال عمر بن عبد العزيز لأبي قلابة - حين عاده لمرضه- (تشدّد[3] ولا تشمت بنا المنافقين)، أي: تصبّر!



(١) كذا أوجز عن حال المؤمن: محمد إقبال- رحمه الله- ، فالردى- وهو الموت- لا شك: أشدّ من المرض!

(٢) ولئن كان تمني الموت منهياً عنه- كما سيأتي في الحديث ص١٧١- ، فإنه وفي حال الإحساس بدنو الأجل فلا ضير، وهذا إمامنا (ابن عثيمين) كان في مرض موته.. إذا ألحوا عليه بالذهاب للطبيب يقول: (لعلني اشتقت للقاء ربي)، أي حالة تيقّن المؤمن بقرُب الأجل.. فلا بأس، كما في قوله ﷺ { بل الرفيق الأعلى} - أيضاً.. و في الحديث ختام ص١٧٥- ، كذلك هذا.. مقارباً لقول الصديق ﷺ ص١٣٠ .

(٣) .. الإيمان- كما تقدم ختام ص٤٠- شطران شكر وصبر (مع) استيعابٍ لحديث: { الطهور شطر الإيمان}.

ثالثاً

عودة للمقصّر(*) في جنب الله

نحن الذين أستيقظت بأذانهم   دُنيا الخليقة من تهاويل الكرى!

كذا أوجز محمد إقبال – رحمه الله- عن رسالة (دُعاة) أهل الإسلام..

.. والكرى: أي السبات، وهو كناية[٢] عن الغفلة عما خُلق له المرء: (العبادة)، فيُشغل - للأسف - غالب الخلق بما خُلق لهم، عما خُلقوا له.. ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴾ (يونس ٩٢)، ولهذا نبّه المولى إلى أعمال الآخرة بـ ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[آل عمران: ١٣٣]، وفي معاش الدنيا بـ﴿ امْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾[الملك: ١٥] – أي: تمهّل.. فما يأتي فالحمد لِلهِ، وما لم تبلغه فلا حسرة عليه.

- قال أبو ذؤيب الهذلي:

و(النفس) راغبة إذا رغبتها[٣]   وإن تُردّ إلى قليل تقنعُ-

(*) وأذكر للأديب حمد القاضي قصة صاحب (الصفعة).. التي أيقظت أحدهم ليعود لربه.. بوصفها بـ (الصفعة الجميلة).

(٢).. كما سيأتي - في نقطة (١٢) ص١٠٠- .

(٣) أي: إذا عوّدتها (تأديباً)، فإن المرء باستطاعته تأديب نفسه، قال تعالى: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [آل عمران: ١١٤]، وقال عن الصنف الآخر: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾[الأحقاف: ٢٠]

قال خالد بن صفوان - رحمه الله- : " عجيب أمر العباد، يعملون للدنيا وهم يُرزقون فيها، ولا يعملون للآخرة، وهم لا يُرزقون فيها إلا بعمل "، وقال ابن الجوزي- رحمه الله- : " علمت أن رزقي سوف يأتيني فلم أشق له، وأن عملي لن يقوم به غيري فلم أثبط عنه".

ثم، أو.. استقراءِ هذا (المعنى)، لو قُلت لأحدهم:

إنّ عينك (مثلاً) لن تفتح أو تُبصر بها كل صباح إلا وبعد أن تركع لِلهِ عشر ركعات؟ ألا يفعل، إي وربّي!

فما للخلق قد أهملوا- إن لم يكونوا فرّطوا- أهم أسباب[1] خلقهم: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[الإسراء٢٣]، وفي الحديث:{ حقّ الله على الناس: أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً.. } - بل والنصوص في هذا أكثر[2] من أن يؤتى عليها-

ومن طرف آخر أتى حديث:{ يا عبدالله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل}.

ومما يستفاد من هذا (مع الأمر بفعل الصالحات والتبكير بها):

(١) .. وللعلم فإن هناك ثلاثةُ أسباب في الخلق: (أ) العبادة : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات٥٦]، (ب) الخلافة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة٣٠] (جـ) العمارة : ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[هود٦١]

- إيجازاً.. للدكتور (يوسف القرضاوي) حفظه الله -

(٢) إن لم أقل أنها بلغت مدارك متواضعيّ المعرفة.

المداومة على العمل الصالح، وعدم التثبّط في إتمام عمل الخير.

وإليك تقريب لهذا: دخل "إبراهيم بن أدهم" على أحد إخوانه يعوده فوجده يزفر ويتأسف، فقال له: علام تتأسف؟ فأجابه :

(على ليلة نمتها لم أصلِّ بالليل فيها، وعلى يوم أفطرته[1]، وعلى ساعة غفلت عن ذكر الله تعالى بها)، لكن مع هذا فلا غرو أن الفرض مُقدّم:

قال ابن القيم: (إن أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى وظيفة ذلك)، وأجلّ من هذا.. الحديث القدسي: { وما تقرب إليّ عبدي بأحب مما افترضته عليه..}.


(١) أي : لم أصُمْ به – وأنا قادر – تطوّعاً.

رابعاً
تذكير بنعمة (العافية)

التي يغفل عنها، أو ربما يعتادها الكثيرون، بمعنى: أن ما يغشى من داء هو تذكير بنعمة الصحة المجحودة- من الغالب - ، فإنه لا يحس بنعمة الموجود إذا لم يُفقد البتّة.. ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل:٥٣].

.. وذاك (مثلاً) أن من مُتع الغذاء: (الصحة) والشباب والأمن والقلّة[١]، وقد قيل :

(الصحة " تاجٌ " على رؤوس الأصحاء، لا يراه إلا المرضى)، وأهل نجد يقولون: (المُعافى بنعمه) ، ومرادهم: نعمة العافية، وما أجلّها من نِعمة، قال الحجاج.. لأعرابي مرغباً – وهما في حضرة طعام - :

إن الطاهي أحسن صنيعة! قال : " يا أمير إنّما الصحة والشباب طيّباه".

وأعظم من هذه المعاني ما جاء في الحديث - الذي تقدّم- : { نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ} ، فلا يأمن

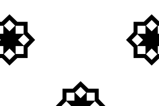
(١) أي قلّة الأكل، فإن كثرته تُذهب غالباً (المتعة) به!

وكم من متخم بالمال والنِّعم، يوُضع بين يديه أطايب الطعام، فلا يمسه- تشبّعاً- ، وإن ذاق منه شيئاً يسيراً فذاك كل نهمه.. منه!، فبالله ماذا يصنع الفقير أمام منظرٍ كهذا؟!

المرء بخاصة المؤمن دوام الحال[1].. ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف٩٩]

- ليس يأ من قوم شرّ دهرهم   حتى يحلوا ببطن الأرض أجداثاً-

ثم إن المرء حال أمرين، إما أن يُذكّر بالصحة.. بمثل هذا (الطارىء)، أو.. يُذكّر بها حال زيارته لأحد المرضى – كما سيأتي في "تاسعاً"- ، فـ .. ليختر لنفسه.. عندها[2]!



(١) وليس بيد أحدٍ ضمانة من الله - لا نبي مُرسل، ولا ملكٌ مقرّب .. - ، ودلالة هذا دعاؤه ﷺ - في ما تقدم ختام ٤٥-

(٢) فإياك إياك من الأولى!

خامساً

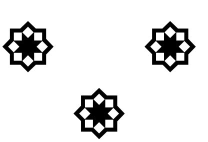
قد يكون سبباً لدفع بلاء أعظم

وكم توارد الناس يوماً: قصة المسافر بالطائرة الذي أحاله عارض صحيّ ألمّ به عن السفر، فـ (سقطت الطائرة) فنجا بالمرض.. من الموت!

وقد ذُكرت لي (واقعة) قريبة: عن مؤذن مسجدنا — من شرق آسيا- كان من المفروض أن تصل والدته على أحد الرحلات التي سقطت قبل بضع سنوات ، فكتب الله لها نجاة من مآلٍ مَن قضوا نحبهم بتلك الطائرة.. حين تأخرت عن الحضور بالوقت المناسب، فكان هذا (التأخير)[1].. وبقدر من الله: خيراً لها.

ونعلم بالمثل (رُبّ ضارة نافعة) - أي : نافعة لمن غشيتهُ-

ولو لم يأته منها: إلا أن تصرفه عما هو أشنع.. لكفاه!، وأحسبُ أن المثال الذي سقناه (في / ص٢٦) وافٍ عنها.

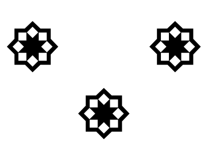


(١) الذي (قد) تكون جزعت منه!!

سادساً
الرأفة بصاحبه

فهو – أي المريض- في حالٍ يُرئفُ بصاحبه من تبعات الدنيا، ويُعذر فيه من نواحٍ شتى، فإذا كان: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [النور ٦١] – حسب نوع مرضه- أي كـ: (الجهاد[1] ونحوه، مما لا يقدر عليه فاقد الصحة.. التي تقوم عليها) [2]، فإن العذر في حقه عن تبعات (الدنيا) أولى.

.. وحين سُئلت أُمٌّ عن أحبّ أبنائها إليها؟ قالت: (**المريض حتى يشفى**، والمسافر حتى يعود، والصغير حتى يكبر).



(١) .. ففي قوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾ [النور ٦١] أي : يسقط عنه الجهاد.

(٢) كذا قال سماحة العلاّمة: (عبد الرحمن السعدي) رحمه الله- في تفسيره للآية-

سابعاً
كما ويُعذر في أنواع من العبادات

كالصلاة (القيامِ مع القدرة) وحضور (الجُمع) - إن شُقّ[1] عليه ، وكذا الصيام[2]: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة١٨٤]، وعن أنس ﷺ قال : " سقط رسول الله ﷺ من فرس فخدش- أو فجحش – بشقه الأيمن فدخلنا عليه نعوده، فحضرت الصلاة فصلى قاعداً فصلينا قعوداً".

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : " كانت بي بواسير- وفي رواية ناسور – فسألت النبي ﷺ فقال : {صلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب}.

.. وعنه ﷺ قال : " سألت النبي ﷺ عن صلاة الرجل وهو قاعد، فقال: {من صلى قائماً فهو أفضل[3]، ومن صلى قاعداً فله نصف أجر القائم، ومن صلى نائماً فله نصف أجر القاعد}[4].

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج٧٨] .

(٢) وهم على نوعين، نوع يُرجى برؤه، فهذا يفطر ويقضي، وآخر لا يرجى له شفاء، فهذا يفطر ويتصدق، بل ذهب سماحة علامتنا ابن عثيمين إلى أن هناك من يحرم عليه الصيام إن كان في صومه مهلكة، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥]- موجزاً من مطوية : "فصول في الصيام والتراويح والزكاة" صنّفها سماحته (رحمه الله)-

(٣) لأن.. ذوي الهمم لا يأخذون بالرخص، يدفعهم لهذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا ﴾ [المزمّل : ٦] وهذا معنى طرقه ابن القيم .. مثلاً: (هناك عبودية بالسراء وهناك عبودية بالضراء، كأن تأتي للوضوء بماء دافىء في ليلة شاتئة، فتلك عبودية السراء، وأن تأتي بماء باردٍ أو لا تتحصل عليه.. في ليلة شاتئة فتلك عبودية الضراء) – أو بما معناه- ، ويكفي فهم هذا فيما تقدم (ص٤٠).

(٤) قال أبو عبدالله البخاري: إنما عندي مضطجعاً هاهنا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبراني: {يصلي قائماً فإن نالته مشقة فجالساً، فإن نالته مشقة صلى نائماً}.

وتعظيمها - أي الصلاة- في قلبه دليل على ما في القلب من الإيمان والعمل الصالح.

كما .. وبُشراه- لأن فضل الله واسع- في ما روى مسلم من حديث أن الله يقول للكرام الكاتبين عند مرض عبده المؤمن: { اكتبوا لعبدي ما كان يعمل صحيحاً مقيماً} و حديث:{ إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل[1] ما كان يعمل صحيحاً مقيماً} رواه البخاري، أي: إن حاله عن الخير الذي تعوّد القيام به (سفرٌ أو مرض) - أو عاقهُ عن أدائه.. طارئٌ- ، فهو عندها: موصول[2] الأجر.





---

(١) وهذا للعلم ولشحذ الهمم: أقول (وقفا) على أولئك الذين لهم أعمال من (النوافل).. لا يفتئون عن المداومة عليها.. هذا إن لم يزيدوا.

مع.. ملحظ يقول الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله- (قول بعض أهل العلم: إن ترك الرواتب فسوق قول ليس بجيد، بل هو خطأ، لأنها نافلة، فمن حافظ على الصلوات الفريضة وترك المعاصي فليس بفاسق بل هو مؤمن سليم عدل. وهكذا قول بعض الفقهاء: إنها من شرط العدالة في الشهادة: قول مرجوح فكل من حافظ على الفرائض وترك المحارم فهو عدل ثقة. ولكن من صفة المؤمن الكامل المسارعة إلى الرواتب وإلى الخيرات الكثيرة والمسابقة إليها) [مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١١/٣٨٢].

(٢) وهذا لعله دافع لكل إمرىء أن يحثّ نفسه على (النوافل) لكي يُكتب له أجرها، إذا ما عاقه عنها سبب ما!

ثامناً

أو يتبعُ هذا رد كيد الأعداء

فإن حالة المرض غالباً ما تُرقق عليك القلوب، أو أدناه: تصرف عن المعتلّ- بإذن الله- شرور الحساد وعيون الحاقدين..! فلا جرم أن حالته تلك: تُضعف (همّتهم) نحوه، أو لنقل : خزّ عيونهم للنِّعم التي يرفل بها، وفي الحديث:{ أكثر من يموت من أُمّتي- بعد قضاء الله وقدره - بالعين} صحيح الجامع، وقال ابن تيمية، رحمه الله: (ما خلا جسد من حسد[1]، ولكن اللئيم[2] يُبديه، والكريم يُخفيه)[3].

وهنا نُذكّر بأن (الحاسد) -العائن- : هو مريضٌ ذاتياً[4]، إن لم يكفّ دواخله أو فضوله.. من مراقبة نِعم الله على غيره[5] من الخلق،وهذا أقرب مجال لعلاجه.. وإلا فإن : **(من راقب الناس مات همّاً)!**

(١) بل على المسلم أن يوجّهه، كما في الحديث: { لا حسد إلا في اثنتين.. رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار} متفق عليه.

(٢) .. أو (العدو) ، قال ابن زيدون :

غيظ العِدا من تساقينا الهوى، فدعوا   بأن نغص، فقال الدهر آمينا

(٣) الفتاوى - كتاب السلوك- : لابن تيّمية ١٠/١٢٢٥.

(٤) .. انظر (ثانيا) هامش (١) ص٣٢.

(٥) ولعل جانباً من هذا يوضّح قولٌ مرفوع لأبي الدرداء: (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، لأن كل ذي نعمة محسود).

.. ثم إن علاجه أتى من التوجيه النبوي الكريم ﷺ بـ: { هلا برّكت إذا رأيت ما يعجبك في أخيك}.

.. ولافتة في تشخيصه: أن " أوّله آتٍ من الغيرة، وهي شعور بالكراهية والعداء نحو نجاحات أو ثروة أو شعبية شخص آخر، وليست الغيرة بمضمونها إلا تعبيراً عن رغبة الإنسان في أن تكون كل نجاحات الآخرين ومآثرهم ومكانتهم وقفاً عليه وحده"[(١)]

.. وهي- أيضاً- : (ألم نفسي ينتاب المرء إذا وجد أن ما كان يأمل أن يكون له، قد أضحى لغيره، أو طمح — أو طمع- أن يكون له ما في يد غيره اعتقاداً منه أنه أحق به)[(٢)] ، وخُذ نفثات أحد الشعراء:

ومـن نكـد الأيـام أن يبلـغ المنـى أخو اللـؤم فيهـا، والكـريم يخيـبُ!

.. واستطراداً: فهذه (أسباب) .. بإذن الله ، لزوال الحسد من العائن[(٣)] :

---

(١) انظر كتاب (معجم علم الأخلاق).

-هم يحسدوني على موتي، فواعجبي حتى على (الموت) لا أخلوا من الحسدِ-

(٢) مجلة (بناة الأجيال) الصادرة عن نقابة المعلمين، دمشق، عدد (٥٨) ك٢، ٢٠٠٦م. مادة لـ : "عبد العزيز الأحمد".

(٣) أبدى بهذا النصح لمن ابتلي إما بالحسد لخلق الله، أو أنه عائن .. خلقةً، وقد استعاذ ﷺ من { العين اللامة}- رواه البخاري - التي تصيب مَن نظرتْ إليه: بسوء!

١) الرضا[١] بما قسم الله .

٢) الإيمان أن النعمة أصلاً فضل من الله - وهو مقسّم الأرزاق[٢] - وليس بيد المُنعَم عليه الذي ليس له فيها حول ولا طول[٣]، سوى فعل الأسباب.

.. ثم يقرب لنا بـ: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾[النحل : ٧١] أي من مواليهم، وكذلك (مواليهم) لن يعطوا أسيادهم ما يملكون من نعمة (الصحة) !

٣) النظر في أعمال وحال المُنعَم عليه، ثم معرفة ما بلّغه هذا الفضل، ليفعل مثله .

---

(١) الرضا أو : "الراضي" هو: (من تتساوى عنده العطية والبلية)، بل إن عدم الرضا- .. كما في عراك المرء مع الدنيا- هو الذي يجلب أفتك الأمراض.. كـ (السكري، والضغط، والجلطة.. الخ).
لأن ما كُتب عليك.. ماضٍ، أرضيت به أم لم ترض!- انظر قول (إقبال) في ص٦٤-

(٢) أي : لا سبيل لبلوغها، والدليل على ذلك كم ممن يفعل أسباباً أكثر مما فعل من نال ذلك، ولم يبلغ؟ دلالة كافية على أن هذا (رزق) من ربك.. عليه.

(٣) وقد تقدم إشارة لهذا بـ (العدل) ختام ٤٩ وما بعدها-

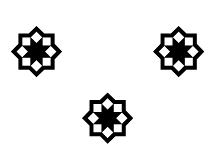
أجل.. وقد :﴿ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾[الأنعام : ١٦٥]، أي : " في القوة والعافية والرزق والخَلق والخُلق، ثم علل : ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم﴾ [المائدة : ٤٨] أي ليختبركم " — تفسير (السعدي) ص٢٨٣-

٤) سؤال الله من فضله، والعون منه.. على كل ما فيه خير ترجوه.

٥) عدم الالتفات إلى وساوس الشيطان، أو الاتكاء على التقييم الشخصي – الناقص!-

ك/ لماذا أنا أعمل كذا، ولا أنال، وهو قارّ في داره.. ويأتي الخير إليه؟ فإن في هذا اعتراضاً (خفيّاً).. على المعطي.. المانع - سبحانه و تعالى- القائل : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾[الزخرف : ٣٢]، .. أو أدناها: عدم تسليم بالقدر!

- وهو الركن السادس من أركان الإيمان: { أن تؤمن بالقدر خيره وشره} -



تاسعاً

هو في (معية) الله(*)- حثاً على عيادته:

للحديث القدسي في الصحيح: {يابن آدم مرضت فلم تعدني}.. إلى أن قال: { أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما لو عدته لوجدتني عنده} ، فيأتيه من المكاسب.. أيضاً: (زيارة) إخوانه وأحبابه ، وكذا دعاؤهم(٢)، للحديث:{إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة(٣) الجنة} رواه مسلم.

وروى البخاري حديث: { عودوا المريض..} إلخ.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال أمرنا رسول الله ﷺ بسبع وذكر منها {عيادة المريض} متفق عليه.

وللحديث { .. من عاد مريضاً، أو زار أخاً له في الله ناداه مناد: أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت(٤) من الجنة منزلاً} رواه الترمذي.

(*) .. وكفاه هذا فخراً، وشرفاً.

وقد ورد في بعض الآثار: (يا ابن آدم، البلاء يجمع بيني وبينك، والعافية تجمع بينك وبين نفسك).

(٢) وللدعاء الجامع - في خُطبة (الجمعة) - : (واشف مرضانا ومرضى المسلمين).

(٣) .. قيل يا رسول الله . ما خرفة الجنة؟ قال : {جناها}.

وأذكر بالمناسبة: برنامجاً يبث عبر الأثير – وأحسبه للآن – بعنوان (سلامات)، يقوم بزيارة المرضى وسؤالهم عن الحال والصحة.. ويؤانسهم، بل هذا يظهر بعض إحسان (لجنة أصدقاء المرضى)، أو يُعدّ من جهودهم (بارك الله فيهم)- ممثلة بالقصيم عنها الشيخ الدكتور: صالح الونيان، وأعوانه.. سلمهم الله-

(٤) أي اتخذت أو حزت من الجنة (منزلاً).

تعاضداً.. وتواصلاً، للحديث: { ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى} رواه البخاري.

فإن الناس في الغالب (غافلون) بعضهم عن بعض،وقد وبّخ المولى بـ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر : ١] !.

فكم من عزيز لا تعبأ[1] بزيارته - .. كما تقدم ختام ص٤١- طالما أنك تعلم (مما يبلغك من أخباره) أنّه بخير.

لكن .. ومن أوّل ما يبلغك عنه مَا يسوء تُودع جانباً كل ما يهمّك.. إثر الإطمئنان عليه!، فـ :**لدى (الشدائد) يعرف الأصحاب.**

أوهنا : أُكّد على هذا، لأن هناك أشياء تضمحل، إن لم تُسق بماء الوصل، أو الاعتراف بأثرها أو .. حين يعتادها المرء، فلا يجدد أو يُنقّي –حين يعود- .. مسلك (ماء) حياتها!، وهذه من (طوام) عصرنا.. الذي مُلىء شغلاً ومشاغل قليلٌ أثرها، أو تكاد تجزم أن جلّها لا يساوي ثمرها!

وإذا المشاغل كممت أفواهنا ... فسكوتنا بين القلوب سفير

بـ (الحب).. نختصر المسافة بيننا ... فالدرب بين الخافقين قصير

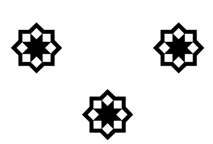
من هنا كان دائب من هم على الفطرة .. لا المصلحة لا يفتئون يرددون.. ويدعون لمحبوبهم بـ : "اللّه لا يبيّن[2] غلاك" - وهل يظهر الغلا الحقيقي .. إلا حال الألم !-

(١) من هذا ما قاله الإمام (أحمد) رحمه اللّه: " لنا إخوانٌ لا نراهم إلا لما، هم أقرب إلينا ممن هم بين أظهرنا"- أو بما معناه-

(٢) أي : أسأل اللّه أن لا يأتي داعٍ (سيء) يُظهر مقامك في القلب.

و.. وجهة أُخرى: من حسنة ذلك:

إزالة للظنون التي (قد) تعلق تلقاء أحدهم، أو حتى كانت .. من قبل عالقة لديك عنه- بخاصة حال الزيارة- مما يظهر لك من خلال تجشّمه عيادتك.. وما يبديه أو حتى يظهر عليه من تعابيرٍ على ما مسّك من سوء، أن ظنكّ (به).. في غير محلّه.



عاشراً

إفاقة القلب إلى (عبادة) الدعاء

.. يكفيه قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ [النمل : ٦٢] وهذا لعله: مكمن السر في استجابة دعوة الثلاثة: المظلوم، والمسافر، ودعاء الوالد لولده، وذلك للكسرة أو الحاجة الملحّة التي في قلب كل واحد منهم. فعلى المريض (المُبتلى) بالإكثار منه، لأنه أولاً: من أعظم العبادات، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ (غافر ٦٠). فوصف من لا يدعو بـ بالمستكبر عن العبادة!، وقال سبحانه : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة : ٤٥] والصلاة هنا أي الدعاء، وقال أيضاً: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان : ٧٧] أي جعل الدعاء شفيعنا إليه.

وجاء في الحديث: { مَن لم يسأل الله، يغضب عليه} رواه الترمذي والبخاري[1]، وروى أيضاً: { ليس شيء أكرم على الله من الدعاء} ، وقد وجّه ﷺ إليه عثمان بن أبي العاص ﷺ، حين شكا إليه وجعا، فقال له عليه الصلاة والسلام: { ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل : باسم الله، ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر} رواه مسلم، هذا أولاً.

(١) .. في الأدب المفرد- رقم ٦٥٨-

وثانياً: هو المتكأ.. مع التضرّع والاطراح بين يدي المولى، أملاً ورجاء ورهبة منه، ورغبةً بما لا يقدر عليه سواه، لأنه سبحانه لا تتخطاه آمال المؤملين.. من ذوي الاتكال الحقيقي[١] - .. الذين يأنفون من رفع الحوائج إلى غيره - ، فهو الكريم[٢].. الذي إن رُفعت حاجةٌ إلى غيره لا يرضى..

فهل أحدٌ.. سوى الله تعالى يقدر ويؤمّل.. إلخ.

فينبغي أن لا تتخطاه آمال كافة الخلق ، قال بعض العارفين :

حرام[٣] على من وحّد الله ربَّهُ وأفردهُ.. أن يجتدي أحداً رِفدا[٤]

بل إنه - سبحانه وتعالى - يُبادرنا بالنوال قبل السؤال، وما النِّعم التي بين يدينا إلا بعضُ كرمٍ منه .. حين أتت بلا مسألة[٥]: ﴿ ..الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه : ٥٠]

لا تسألن بُنيَّ آدم حاجة .. وسل الذي أبوابه لا تُحجب

---

(١) .. وهم من عبّر عنهم الحديث : بالسبعين الفاً.. { هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكّلون} صحيح مسلم.

(٢) .. الذي أكبر وأبعد فضلاً من مُنتهى الرجاء- سبحانه وتعالى-

(٣) ليعلم أنه لا يحرم شيء إلا بدليل، لكن اللفظ هنا أتى مجازاً فحسب.

(٤) .. فلا يسأل العبد: فضل أو كرم أو عطاء: (رفد) أحد.. غير مولاه سبحانه.

(٥) وصدق الأعرابي حين دعا: (اللهم أعطيتنا الإسلام ولم نسألك ، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك).

(الله) يغضب إن تركت سُؤاله وبُنيُّ آدم حين يُسأل يغضبُ

ويقول سلم الخاسر :

إذا أذن الله في حاجة أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم ولكن سل الله من فضله

ويكمن هذا (الدعاء) أو يتأكّد وجوبه بحالين:

إما بتحرّي أوقات الإجابة - المعروفة - ، أو أوضاعه (كالمرض والسفر..)، ويدلّ على هذا الحديثُ : {من فُتح له منكم باب الدعاء فُتحت[1] له أبواب الرحمة، وما سُئل الله شيئاً يُعطى أحبّ إليه من أن يسأله العافية، إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء} أخرجه الترمذي.. فإني لأحسبُ – بهذا (الشافع)- :

أن (المريض).. قد شُرعت له كل أبواب هذا العطاء/

فإن دعاء الحاجة والضرورة يصحبه الصدق، وحضور القلب وحُسن التوجّه، قال ابن القيم: (كثيراً ما نجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكراً

(١) قال عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما- : (إني لا أحمل هم الإجابة، ولكني أحمل هم الدعاء).

لحسنته، أو صادفت وقت إجابة ونحو ذلك، فأجيبت دعوته، **فيظن الظآن أن السر في لفظ الدعاء فيأخذه مجرداً عن تلك الأمور التي قاربته،** ولم يعلم أن السر في الاضطرار وصدق اللجأ إلى الله تعالى).

و.. قال بعض السلف: (متى أطلق الله لسانك بالدعاء والطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك، وذلك لصدق الوعد بإجابة من دعاه، ألم يقل سبحانه: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦]).

ثالثاً: مع إستحضار[1] (حُسن الظنّ) بالله:

ففي الحديث القدسي الذي رواه رسولنا ﷺ عن ربه : { أنا عند حسن ظن عبدي بي..}. رواه أحمد، قال الشاعر :

إذا ابتليت فـ (ثق بالله) وارضى بـه   إن الـذي يكشـف البلـوى هـو الله

وليُعلم أن سوء الظن من صفات الضالين الذين ذمهم المولى : ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ [الفتح : ٦] ، ثم قال تعالى نكاية بسوء ظنهم بربهم: ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ [الفتح : ٦]

وأيضاً: رافد لُحسن الظن، حسن الفأل، للحديث:{ تفاءلوا بالخير تجدوه} .

---

(١) قال الشاعر :

وإني لأرجو الله، حتى كأنني   أرى بجميل الظن ما الله صانعُ

ولما عاد النبي ﷺ أعرابياً مريضاً يتلوى من شدة الحُمى، فقال مواسياً ومشجعاً: {طهور}، فقال الأعرابي: بل هي حمى تفور، على شيخ كبير لتورده القبور، قال: {إذاً هي كذلك}! وهذا يُعلّمنا حُسن الفال، والتأمين[1] على الدعاء الصالح، بدلاً من الجزع، والتأوّه!

رابعاً: .. إن لـ (الدعاء) آداباً[2]، حبّذا قبل الشروع به توخيها[3]:

١- الطهارة.

٢- استقبال القبلة.

٣- الابتداء بالحمد والثناء على الله وتقديم الصلاة على النبي ﷺ بين يدي الدعاء، والختم بهما، .. كما قال تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]

٤- رفع اليدين، إلا في المواضع التي ورد الشرع بعدم الرفع فيها[4]، قال الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله- :

---

(١) وفي الحديث { ما حسدكم بنو يهود كما حسدوكم على التأمين والسلام}.

(٢) من مقتضيات إجابة الدعاء (مع ما سوف يأتي إيضاحه).. التالي:

١- الاستقامة على شرع الله، والالتزام بأوامره، والبعد عن نواهيه. ٢- الكسب الحلال- كما جاء في هذا نصوص، ٣- العزم في المسألة، فقد قال ﷺ: { لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم غبّ الدعاء، فإن الله صانع ما شاء لا مُكره له} رواه مسلم..، وإنه سبحانه ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤].

(٣) انظرَ للتوسع كتاب (الدعاء آدابه ومواطنه، وما يتعلق به) للشيخ رهف القحطاني.

(٤) وبالمناسبة.. فقد اعتاد الغالب (من العوام) على مسح الوجه بعد الدعاء، وهذا الفعل من البدع المستحدثة (من بعض الصوفية) .. لكن الأصل بالمسح ذاك الآتي بعد (الورد) في المسح على كافة أعضاء الجسد- أو بمقدار ما تطاله كفّاك-

" الصلاة النافلة: لا أعلم مانعاً من (رفع اليدين) بعدها في الدعاء، عملاً بعموم الأدلة، لكن الأفضل عدم المواظبة على ذلك، لأن ذلك لم يثبت فعله عن النبي ﷺ ولو فعله بعد كل نافلة لنُقل ذلك عنه، لأن الصحابة – رضي الله عنهم – قد نقلوا أقواله وأفعاله في سفره وإقامته، وسائر أحواله ﷺ[1] ".

٥- الحرص على الأدعية الجامعة، فإنه ينبغي أن يحرص المسلم على جوامع الدعاء، كما قالت عائشة رضي الله عنها : (كان النبي ﷺ يستحب جوامع[2] الدعاء، ويدع ما سوى ذلك) أخرجه أحمد وأبو داود.

٦- وكذا التوسّل إلى الله بصالح الأعمال التي عملها لِلهِ[3].

٧- الدعاء للحاجة المدعو بها (وهذه أهم ما تعنيه مادتنا هنا)، وبهذا المقصد فقد أزجى[4] ابن القيم[5]:

---

(١) .. كتابه (أركان الإسلام) ص١٧١.

(٢) .. ومن أحسن الأدعية وأجمعها – أو من أمثلة ذلك: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة : ٢٠١]. ودعوة يونس ﴿لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧] – التي ألّف بها ابن تيمية رسالةً من ٦٠ صفحَةَ- ، وكذلك : { اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة} إلى غير ذلك من الأدعية الواردة عن النبي ﷺ.

(٣) كفعل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة وهم في الغار.

(٤) أي : ساق.

(٥) .. في كتابه (الدواء الشافي).

(الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدوّ البلاء.. يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه، وهو سلاح المؤمن).

٨- تحريّ أوقات الإجابة الستة: ومنها، آخر نهار الجمعة، والثلث الأخير من الليل.. [١] الخ، قال بعض المفسرين في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [مريم : ٤٧] ولم يدع لهم في الحال.. قصده انتظار آخر الليل أو الهجع الأخير منه، لأنه أحرى (وقت) للإجابة.

٩- مع التنبيه إلى أن الإسرار به أفضل[٢] من الجهر به في الجُملة، لقوله تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾[الأعراف : ٥٥] ، ولأنه أقرب إلى الإخلاص، وقال المروذي رحمه الله : (سمعت أبا عبدالله - يعني الإمام أحمد - يقول : ينبغي أن يسر دعاءه، لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء : ١١٠] قال: هذا الدعاء)- أي : كنّى بالصلاة عن الدعاء-

١٠- كثرة الدعاء بالرخاء، - كما تقدم عن هذا ختام ص٤٦- ، أيضاً: بُشرى للداعي.. ففي الحديث : { إن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع العبد يديه أن يردهما صفراً} - رواه الترمذي-

(١) وقد قال رسول الله ﷺ : {إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة}كما في صحيح مسلم.
- انظر رحمني الله وإياك: لفضله تعالى.. في قوله : كل ليلة-

(٢) وبذلك أثنى الله تعالى على نبيه زكريا، إذ قال مخبراً عنه : ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً﴾ [مريم : ٣].

١١- كذا مع ما تقدم من (حُسن الظن): كمال الثقة بالله.

ولكن أو يلحق هذا المعنى شرط:

عدم التعجّل في تلقي الإجابة ، كما في الحديث المتفق عليه: { يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل[١]، يقول : قد دعوت ربي، فلم يُستجب لي} ، فـ :{ليعزم المسألة[٢]، وليعظّم الرغبة..} كذا أمر ﷺ .

فإن الله ضمن لك الإجابة[٣] لكن في الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد ، أي بما يراه (هو) في نفعك والخير .. والخيرة[٤] التي كتبها لك، مع ملحظ :

---

(١) وإن كان عدم التعجّل مطلوباً بشؤون الحياة - كما قال الشاعر :

وأخلق بذي صبر أن تُقضى حاجته و(مُدمن قرعٍ للأبواب أن يلجـــا)-

فإنه: في جانب الأدب مع الله أولى، ذُكر عن مؤرّق العجيلي قوله: " سألت ربي حاجة عشرين سنة وما انقضت لي وما يئست منها"- أي: من طلبها-

(٢) حين استغرب بعض الصحابة دعاء (عمر) وطلبه الشهادة وهو في المدينة، قال :

(.. هذا طلبي من ربي، وأرجو الله أن يحققه لي) وقمين بمن أحسن الظن بربه أن ينيله مطلوبه، .. حين أتت إليه الشهادة وهو في بلد رسول الله ﷺ.

(٣) للحديث : { إما أن يعطيك في الدنيا أو يدّخرها لك في الآخرة}.

(٤) تأخر إجابة الدعاء له (والله أعلم) أسباب أهمها- مع ما تقدم في ص ٢٩- :

١- أن يكفّر لأصحابها بها خطايا وذنوباً ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة : ٦]

٢- وإما أن يدّخرها لك في ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤- ٣٦] فما أحوجك عندها.. لها.

٣- .. أو لم يمضِ ما يوازي تكفير الذنب – الذي به عُوقبت-

ورد في بعض الآثار أن العبد إذا أصابته البلوى فيدعو ربه ويستبطىء الإجابة، ويقول الناس: ألا ترحمه يا رب؟ فيقول الله: {كيف أرحمه من شيء به أرحمه؟} يعلق الداعية عبد الرحمن اليحيى: فمثلاً الوالد عندما يجبر ابنه على شرب الدواء المر وهو يبكي وأمه تقول له: ألا ترحمه؟ مع أن فعل الوالد هو رحمة به - ولِلهِ المثل الأعلى- .. فلا يتهم العبد ربه بابتلائه وليعلم أنه إحسان إليه.

١٢- الإلحاح في الدعاء، أو بالغ فيه، فإذا كنت راضياً بقدر الله منتظراً لفرجه، فسيأتيك نصره بإذنه تعالى لا محالة، وإذا كنت قانطاً مستعجلاً، فأنت لم تنجح في اختبارك وصبرك، واعلم أنه يبتليك بالتأخير لتحارب وسوسة[1] إبليس..، فهلاّ نجحت؟

ومما قاله ابن القيم :

(إذا اجتمع على الإنسان نفسه وقلبه وصدقت ضرورته وفاقته، وقوي رجاؤه، فلا يكاد يرد دعاؤه).

١٣- .. من غير تعدٍ به[2]، فإنه سبحانه: ﴿لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة : ١٩٠].

(١).. وأعلم أن (الوسواس) من الشيطان.. ليغيض به العبد - كما سيأتي ص١٥٠- ، ويكيد له إفساداً عليه .. إما عبادته أو حياته.

(٢) .. ومن أكثر مظاهر التعدي: الدعاء على من أصابك منه أمراً يسيرا! الدعاء العريض عليه! بل إن هذا .. من أخطاء الدعاء، والتي منها: =

.. وكما أنّ الدعاء على قدر المضرّة، فكذا يقال من باب الاحتياط أو (صيانة) الاحتمال تُصدّر الدعاء بـ: اللهم إن كان (قاصداً) ظلمي.. الخ.

١٤- استحضار القلب حال الدعاء، فلا يُستجاب الدعاء من قلبٍ لاهٍ.

ومع الدعاء، الحرص على الأوراد والأذكار.. لأنها (الحصن) بإذن الله، فهل تعلم- مثلاً- :

أن (لا حول ولا قوة إلا بالله) – التي هي {كنز من كنوز الجنة} - ، دواء لتسعين داء أيسرها : الهم[1]!

.. وفيها : من المعنى العظيم ما أجمله في تفسيرها ابن عباس رضي الله عنه :

(لا حول بنا على الطاعة إلا بالله، ولا قوّة لنا على ترك المعصية إلا بالله).

= أ- أن يشتمل على شيء من التوسلات الشركية أو البدعية.

ب- تمني الموت، وسؤال الله ذلك.

ج- الدعاء بما هو مستحيل أو هو ممتنع عقلاً أو عادة أو شرعاً.

د- الدعاء بإثم أو قطيعة رحم – وعند مسلم:

{لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم}.

هـ- الدعاء بتيسير بلوغ معصية ما!

(١).. والعجيب : أن لكل عضو من أعضاء الإنسان له مشترك في حالة المرء، فالقلب: في الفرح، والكبد : حال الغضب، والكلى: مع القهر، والبنكرياس: مع الهمّ.

وقد شُرع لنا قولها .. مع كل أذان - بعد (حي على الصلاة.. حي على الفلاح) - ، ولا غرو في عِظمها، إذ الملائكة لمّا أعياها حمل العرش، ندبهم المولى سبحانه وتعالى إليها: (لا حول ولا قوة إلا بالله).. فحملوه - بإذن الله- .

وإيجاز هذه، شروط أربعة.. لإجابة الدعاء بإذن الله:

١) اليقين : بالإجابة.

٢) الخشوع[١] ، وهو: حضور القلب - حال الدعاء-

٣) عدم الإستعجال.

٤) أكل الحلال، سأل سعد بن وقاص ﷺ النبي: ادع الله أن أكون مستجاب الدعوة، فقال ﷺ:

{ يا سعد، أطب مطعمك[٢]تكن مستجاب الدعوة}.



(١) وعبدالله بن عمر (أنا أعلم متى يستجاب دعائي: إذا خشع قلبي.. الخ).

(٢) وإن كان في رزقه - بما يظهر له شك، فليتب، ويتصدّق كثيراً.. ولهذا يُنصح من يريد أن يدعو أن يُقدّم بين يدي دعواه صدقة، وكان من إجتهاد ابن تيمية في هذا، إذا ما ذهب إلى الصلاة.. بحث عمن يُقدّم له الصدقة، وحين سُئل في هذا، أجاب:

قال تعالى : ﴿ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ [المجادلة : ١٢] وإذا كان هذا مع النبي ﷺ، فإنه مع الله أولى".

حادي عشر

أجر المحتسب إن صبر(*)

فالمسلم لا يُشاك شوكة إلا أُجر عليها: {وهذا ليس إلا للمؤمن}- كما في الحديث - ، أو كُفِّر عنه من الذنوب.

وروى البخاري حديث :{ ما من مسلم يصيبه أذى إلا حاتَّ الله عنه خطاياه كما تحاتُّ ورق الشجر}. وروى أيضاً : { ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفّر الله بها عنه، حتى الشوكة يُشاكها} ، فمن خَلقهُ الله للجنة، ما زالت هداياها تأتيه من المكاره، ومن خلقه الله للنار ما زالت هداياها تأتيه من الشهوات : { .. حفّت النار بالشهوات}.

قال أبو ذر الغفاري ﷺ (حُبب إليّ ثلاث: الجوع والمرض والموت، فقيل لماذا؟ قال: إذا جعت يرقّ بدني، وإذا مرضت خِفت ذنبي، وإذا متّ لقيت ربي).

ولما دخلوا على الإمام أحمد- رحمه الله- وكان مريضاً، فإذا هو يئن أنين المريض فقيل له: يا أبا عبدالله: (إن طاووساً- وهو أحد التابعين - يقول إن أنين المريض يُكتب[٢] عليه)، فأمسك عن

(*) . وقوله : {إن صبر} هو شرط الإحتساب.

(٢) اشتقاقاً من قوله تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] - فـ (ما) عامة.. لكل قول .. مهما قلّ!-

الأنين صابراً[١] محتسباً[٢]، وكما قال يعقوب عليه السلام ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف : ١٨] قال ابن عباس: (ذاك الذي لا شكوى معه)، وقال فيه القرطبي : (ذاك الذي لا جزع فيه) للحديث المتفق عليه:{ .. ومن يتصبّر يُصبّره الله}والله سبحانه يقول : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ [آل عمران : ٢٠٠]، وبلّغ الصابر درجة.. ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧].

وهنا فإن (المُلاحظ) وهذه مِن منن الله- التي لا تغيب لطائفه[٣]- : أن المريض حالهُ عندها: أو هو في وضعية يغالب النوم معظم وقته[٤]، لعله تخفيفاً (لأن الألم أمسى معه كالنديم) [٥]، قال "محمد بن عثيمين":

لِلـهِ في كـل مـا يجـري بـه القـدر (لُطـفٌ) تُحـارُ بـهِ الأفهـام والفكـر



---

(١) وكانت مقام الوالدة - أم أخي عبدالله- رحمها الله.. في مرض موتها، إذا ما سئلت عن حالها.. حين تفيق من الألم، تُجيب: (غزال، والشرّ زال)، وكذا ابن أختها (د.علي) نسج خطها- انظر ما تقدم عنه.. ص٦٣/ ٦٤-

(٢) وهذا شرط، ، .. انظر في هامش (٤) ص١٠٨.

(٣) .. واقرأ معي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج : ٦٥] ولم يقل بالمؤمنين - أي : لم يُوقف رأفته ورحمتهُ علىَ المؤمَنين فَحسب!، بل كافة خلقه-

(٤) .. أمّا الوجه الآخر من نِعمه.. اليوم : ما حصل في التقدّم الطبي " التخدير" ، لتخفيف الألم، أو تسكين ألم (العضو) .. بخاصة حال علاجه.

(٥) . وقد قيل : آخر الحالمين بالأمل/ أولئك الذين يتعايشون مع الألم كما لو كان "شريك" حياة- أي: فما البال مع أوائل الحالمين؟، لا شك أكثر من هذا-

ثاني عشر

يُفيق الهمّة إلى المسارعة(*) في الأعمال الصالحة

قبل وهن الجسد وضعفه (لتقدّم العمر) عن أن يُتمم فضائل ما يبلّغه الحديث القدسي الصحيح – وقد تقدم- : { لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحبه، .. إلخ} لأنه – سبحانه - قد: ﴿ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾ [الفرقان: ٦٢].

فالذي ينبغي على المسلم أن يُحاسب نفسه ماذا قدم لها فيما مضى من عمره:

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر: ١٨] قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية:

(أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة.. ليوم معادكم وعرضكم على ربكم).

(*) وكان من الأولى أن لا ينتظر المرء بخاصة الفطن مثل هذا الطارق.. .. كما قال عزّ وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴾ [النساء٦٦]

وقد نُهرنا بحديث { .. هل تنتظرون إلا موتاً مجهزاً.. الخ} رواه الترمذي، فيما نُدبنا كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ عاملاً، .. ﴿ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ (قاصداً)، أي: استغل دائماً فراغك، ولا تنتظر ما يشغلك من مرض أو نحوه.

- انظر أبعاد ما جاء.. في ختام ص٤٦-

ثم .. إن المرء (قد) يذكر نعمة الصحة وينسى المُنعم، أو يتنعّم بالعطاء وينسى المُعطي المتفضّل![1]

وكذا فهماً للحديث: { اغتنم خمساً قبل خمس، (منها): شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك} رواه الحاكم، وتوجيهه ﷺ: {خذ من صحتك لمرضك} ، أي: حال العافية، لكي تُعذر من ربك حال المرض أو الوهن.

ثم إيمائة أُخرى.. حين سُئل النبي أي: الصدقة أفضل – أي عن وقتها المفضّل – قال ﷺ: { أن تُنفق وأنت شحيح صحيح..} متفق عليه، أي ليس بك مثلاً: مرض (مزمن) يُزهّدك بما في يديك من (الدنيا)!، أيضاً:

ولا ترجِّ[2] فعل الخير يوماً إلى غدٍ لعل غداً يأتي وأنت فقير

أي : إن لم تمت، .. فقد تفتقر!

ولهذا أتى الحث على المبادرة في الحج، (تعليلاً) أن العبد : لا يعلم ما قد يحصل له، وكما في الحديث: { من خاف أدلج، ومن أدلج

(١) وصدق الحق: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات : ٦] أي : كفار جحود، مما أنباء عنه (ربه) في الحديث القدسيَ : { أَنا وابن آدم في عجب، أخلقه ويعبد غيري، وأرزقه ويشكر غيري.. } إلخ.
(٢) من.. أرجأ، أي: أخّر .

بلغ المنزل..} وحديث:{ هل تنتظرون .. إلى أن قال: أو مرضاً مُفسداً}[1]، رواهما الترمذي.

أيضاً: لأنه (وهذه لعلها من سمات[2] الإنسان) فإنه لا جرم أن هناك..

من الناس من لا يُرتجى نفعه إلا إذا مُسّ بإضرار!

لكنّ هذا.. آتٍ بـ (المجاهدة) [3].. والتي تحتاج إلى الصبر.. أو الاستعانة به، كما قال تعالى ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ﴾[البقرة : ٤٥] : أي : أمرهم أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على طاعة الله حتى يُؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يسخط منها، والصبر حتى على الخير فلا يُفتن به أو يُغنيه عن تذكّر أن هذا قد يكون ابتلاء[4]!

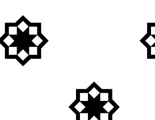
(١) والإفساد هنا على حالين، فساد الجسد من القدرة على العمل كالشيب، أو فساد (متعة) الإنسان بالحياة، .. في ذهاب الصحة الذي يُفسد بالغالب (النفسية) بأن تستمتع بالحياة!

(٢) .. الذي تقدم نزرٌ عنها – في مطلع ص ٤٦-

(٣) قال علي رضي الله عنه : (ميدانكم الأول أنفسكم، فإن إنتصرتم كنتم على غيرها أقدر، وإن خُذلتم فيها كنتم على غيرها أعجز! فجربوا معها الكفاح أولاً)- وفي الأثر : نُعت جهاد النفس بـ (الجهاد الأكبر)-

(٤) كما ذكر الله عن صاحب الجنة (في سورة الكهف).

ومن أحد جوانب إحسانه[1] بهذه النقطة: التخلّص من بعض العادات السيئة كالتدخين، فهذه أكبر فرصة، وكذا الآفات التي يمتطي خُطاها الإنسان من ضعف حب للخير أو قطعٍ للرحم.. إلخ.



(١) بل.. اعرف أن هناك من ترك (الدخان) مثلاً إيثاراً لسلامة أطفاله - وقد قالها لي بصراحة!- فاستطاع بغلبة حبّه لهم: مغالبة نفسه على هذه العادة!

ثالث عشر

تطبيقٌ (جبريٌّ) لحديث : {إن لجسدك عليك حقا}

خصوصاً أُولئك الذين يكدحون - بكلّ ما أُوتوا- وراء الدنيا وجمعها وقلّما يبلغون![1] ، أو هم في لهاث وراء هذه .. التي لا تنقضي الآمال فيها! ولهذا أتى- توبيخاً- عن هذا اللهث – في الحديث: { ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب} ، .. كناية عن أنه لن يتوقف لهاثه منها.. **(حتى)**[2] **يوارى في قبره**

ومع هذا ، فقد قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق : ٦] " أي كل إنسان في كفاح[3] وجُهد وكدح وكدّ.. ولكن شتان بين كدح وكدح!

---

(١) وأوجز أديب الفقهاء (علي الطنطاوي) رحمه الله، بـ : (كل شيء بقدر الله، والله قسّم للعبد سعادته وشقاءه، ورزقه وعمره، فما كان لك سوف يأتيك على ضعفك، وما كان لغيرك لن تناله بقوّتك).

(٢) هذه : غائية، أي لغاية موته.

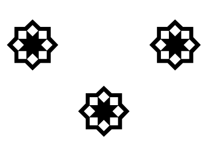
(٣) بل إن هذا من (متع) الدنيا، قال الشاعر :

ما رأيت العيش يصفو لأحـــد دون كـــدّ أو عناء أو تعـــب

إذا لو كانت حياة المرء على منوال واحد، لربما ملّها!، فلا يُعرف طعم الأكل إلا بعد الجوع، وهكذا.

فمن يكدح للأمر الجليل في سبيل عقيدة ودعوة، ليس كمن يكدح لأمر حقير[1]! .. خلف خُطى خطيئة شهوةٍ.. أو نزوة! — وهذا (مكمن) شاهدنا..-

فـ .. الكل يحمل حمله ويذهب كادحاً فيلقى ربه ويلقى عمله: ﴿ وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩] وهنا يمتد الكدح الأبدي ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٢] للأشقياء، وتكون الراحة الكبرى للسعداء (جعلنا الله ووالدينا وإياكم منهم).



(١) فأينك والهمّة، قال المتنبي — موجزاً- :

فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

رابع عشر
وهو في (إحدى الحُسنيين)

فإذا ابتلى الله العبد بالسُّقم[١]، وسلّط عليه الألم، ثم شفاه من علّته، أو إبلالاً له من مرضه فقد منَّ عليه بلحم ودم، وما شاء من نِعَم، كما قال عن أيوب عليه السلام ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [الأنبياء : ٨٤]. وهذا معنى طرحه أبو تمام بمراد آخر، بقوله:

لو عرف الناس التلاقي وقربه لحبب من أجل التلاقي التفرقُ

وإن توفّاه غفر له مع ما تقدّم، من الذنب واللمم[٢].

أيضاً إذا مرضت هُذّب القلب من الكِبر والطغيان.. وذهب الألم بالغفران ، وابتلّت العروق بالرضّوان، وثبت الأجر عند الديّان.





(١) .. والذي أحيانا (كالحريق) لا يحبذ مشاهدة من تلك حالته(*)- إما من صاحب العلة، أو أهله، أو حتى زوّاره-

(*) نخرج القارىء عن هذا الـ ...، فإنه يُستثنى من هذا/ تلك العيون.. التي يستحسن أن تكون (مريضة)! قال الشاعر : (**يا مريض العيون.. من غير داء**).
وكذا وصف (د. الجهني) :

تسبي القلوب إذا أمالت عطفها سبحان من سوّى قدّها، وأمرض طرفها

(٢) اللمم : مُقاربة الذنب من غير أن يقع فيه.

خامس عشر

يتولّد منه قوّة(*) قلّما يبلغها الصحيح " المنعّم "

أجل، .. وقد قيل : (كل ذي عاهة جبّار)(٢).

ويُجلّي عن هذه (النقطة)، .. ولا ضير من الإفاضة - حتى لا يكون طرحنا (نظرياً)، أو يحمل في طياته المثالية التي يصعب تطبيقها، أو الأخذ بها - .. كما في هذا المثال: (فاقد البصر)(٣)ولفظة (الكفيف(٤)) أولى، فهل تعلم كم هو في نعمة(٥).. قلّما تُدركها بقياسك الظاهري!

(*) فـ (الضربة التي لا تُميتني تقوّيني).
.. فهذا " جون ميلتون " الضرير : هو صاحب الملحمة الكبرى (الفردوس المفقود) والتي حظيت بانتشار واسع وصيت كبير.
والبردوني كيف بلغ، وكذا المعري من قبل – وهما كفيفان .. – القائل:

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم	بإخفاء شمس ضوؤها متكامل
وإني وإن كنت الأخير زمانه	لآت بما لم تستطعه الأوائل

ثم.. / وقد قيل للقلق فوائد ما دام في حدوده المعقولة، فهو يحفّزك للعمل والكسب حذراً من الفقر أو الحاجة للغير.

(٢) .. حتى أن أحدهم رثى " أحمد ياسين " - زعيم حماس- بمادة عنونها بـ (" المُقعد"، الذي أنهض هِممنا)، وهناك كتاب : (أيتام .. لكن عُظماء).
ولعل هذه من مظاهر (عدل) الله أو بمقام "التعويض" منه سبحانه .

(٣) انظر كتاب " أصحاب البصائر وقفات في أحوال المكفوفين وآدابهم" لـ (د. محمد بن سعد بن حسين) وهو – للعلم – مكفوفٌ، ولكن هذا جمالٌ يزيده قدراً.. حفظه الله.

(٤) لأن .. أو لعل المسمى أُخذ من (كفّ البصر عن فضول النظر)!

(٥).. ولا تُخال أن في هذه الأسطر استفزازاً، بخاصة لمن لديه قريب أو صاحب مُبتلىً بهذا، .. فيلقى - فيما يراه - من مصاعب الحياة (ظاهرياً) ما قد يرأف به أكثر مما يحسبه (التزاماً أدبياً نحوه)!

.. فإنها بالأصل تُعدّ (عاهة) [1] لا مرضاً! .. وجرّب لتحكم!

- أجل :

إذا بصر القلب المروءة والتقى فإن عمى العينين ليس يضيرُ-

بل وإزاء هذه الحقيقة.. الغائبة - غالباً- فإني أجزم أن لو استقرأت جيداً في حالته، لذهبت إلى (منافع) [2] تغاب عن غير المجرّب !

- حفظنا الله وإياكم- لعل أعزّها :

أولاً: أنّه مُبشّرٌ بقول الصادق المصدوق ﷺ عن ربّه: { إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر[3]، عوّضته منهما الجنة} أخرجه البخاري، وحبيبتيه: يُريد عينيه، وهذا للعلم آتٍ.. فقط: عند الاحتساب[4] ، ثم التسليم.. أي : عدم الجزع و... !

.. وقد قال الشاعر :

واعلم أن المقدّر كائن صبرت عليه أم لم تصبرا

---

(١) أو شذوذاً عن الصحة العادية.

(٢)ولا غضاضة للإجلاء من هذا (الاستطراد) بخاصة أن المادة هذه.. يُناسب خطّها هذا الإثراء.

(٣) .. انظر في ثنايا (الحديث) هامش (٣) ص١٧٣.

(٤) .. ولهذا وصّى عمر رضي الله عنه بـ (أيها الناس، احتسبوا أعمالكم، فإن من احتِسِب عمله كُتّب له أجر عمله وأجر حسبته) — يقصد النية.. فيه لِلهِ، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل : ١٢٧] أحتساباً لِلهِ الفعل، لا لأنه ليس بيدك شيء فلجأت عندهَا للصبر - ٠ لأنه هنا كائن، وقدرٌ ماضٍ.. سواء فعلته أي الصبر، أم لا!-

ثانياً: أنه قلما تذهب به الخيالات (الشهوانية) للدنيا وزينتها مذهباً يُشغله عما هو أولى، فهو بـ (راحة) عن كثير مما يَشْغل ويُشغل (آمال) المبصر[1] من ملذات قلما يحوزها ، أو هي (فضول) أكثر من أنها حاجة!

بخاصة تلك التي لا يُغني غالباً.. حوزها سوى (تكاثر[2]).. ليس من وراء استحصاله نفعٌ إلا إيفاءً لنهم.. أو أمانيّ الذات.

ثالثاً: كما أن في تفريق أهل الحِكمة بين صاحب البصيرة وبين صاحب البصر عزاءً كافياً له.. أو قُل خير عِوض، لأن :

الكفيف يغلب عليه حُسن (الإصغاء) وتتطور[3] لديه حاسة السمع- تعويضاً (ربما) كما تقدم- .. إلى إصغاء مستمر، فيرى من خلال الصوت ما لا يراه معظم البشر، حتى قال أحد هؤلاء (أغمض عينيك لترى الصوت على حقيقته).

واستطراداً فإنه: لا يكفي النظر بدون تبصّر، كما في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج ٤٦) ، وقوله

(١) وتتأكد هذه الخصال لديه- لمن غشاه العمى وهو صغير ولم يدرك أبعاد الدنيا، أو مواقع التشهّي فيها- ، وبالأخص من ولد (خِلقةً): أعمى.

(٢) .. وقد نبّه ربنا فيما تقدم ص٨٢: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ، ثم يكنّي بالموت ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر : ١/٢]

(٣) وقيل تعليلاً: جمعاً في بوتقة الأذن لشعيرات النظر (المفقود).

تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (يس ٦٢) فإن الآيات لم تحمد من لديهم البصر، بقدر ما ركّزت على أصحاب البصيرة، حتى لقد قالت المؤلفة الأمريكية "هـ. كيلر": (أن العمى ليس بشيء، وأن الصمم ليس بشيء، فكلنا في حقيقة الأمر عُمي وصُمّ عن الجلائل الخالدة في هذا الكون العظيم) طبعاً هي تقصد العالم (المادي)، أما نحن المسلمين، وقد أُمرنا بعد تدبّر آيات الله كافة بالقول : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٩١]، فإن أولوا الألباب ينظرون بالطبع[(١)]، والآذان تسمع والقلوب تعقل، وما النظر[(٢)] إلا ما يبصره من خلال التفكّر في ملكوت الله، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الرعد ٠٠٣) حتى قيل: " الله.. الله!، من قلوب تشفّ، وعيون تصف، وعقول تعرف ولا تقف".

رابعاً.. وهو - أي: الكفيف- : في استرخاء يُكسبه (غالباً) صحة باقي أعضاء جسده، مما لا يتوقعه المبصر، دلّ على ذلك

---

(١) ومن طريف ما يُذكر - والعجائب لا تنتهي - أن في بيت أحد الكفيفات، انقطع التيار الكهربائي فجأة، فأخذ جدها ينادي: كيف يصل إلى الحمام، فلم يجدوا من يُرشده من أهل البيت إلا هي، وذاك لإدراكها بحواسها الطريق إليه!
- .. فما يذكّرك هذا الموقف الا بإشارة ذلك المتهكم:

أعمى يدلّ بصيراً لا أباً لكم — قد ضلّ من كانت العميان تهديه –

(٢) لكن لا يعني هذا النفي.. أن : التفكّر والتيقّن بالبصر، قال تعالى:
﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس١٠١] ، فهما عمليتان عقليتان تتمان من خلال النظر !
- .. مما يُغني عن السرد في هذا-

(إيمائةً) من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ[1] إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[طه : ١٣١] .. من فضول النظر فيما لا نفع أو حتى لا أمل في بلوغه! كما في نهره سبحانه: ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب : ٣٢] كـ (تليين[2] الحديث)!-

لأن غالبه ليس لك ، بل .. تمضي العين إثره تمنياً ، .. وعلى عدم بلوغه تحسراً[3]!، فهو إذاً .. بنعمةٍ من حيث عدم (مدّ العين)، إلا ما مُتّع به غيره .. فيقي نفسه من حسراتٍ (قد) لا تنتهي! على ما لم يبلغه..

خامساً: الأعمى له عالمه الخاص الذي ينتقل معه في كل زمان ومكان، ما ليس يتوفّر للبصير.. الذي يأخذ لبّه كل جديد، ويذهب بتفكيره.. كل ملمح!، فـ.. يصرف نظره (عندها) عن كل مفيد(لهُ).. وذاك حين يُشغل بكل حديث.

فهو بهذا.. بمحاسن يكتسبها: في فضول قوّة لحواسه الأخرى، فإنه يملك جراء هذا: (ذاكرة) قويةً.. - وسريعة الحفظ.. –

وسبب هذا والله أعلم: لانصراف ذهنه عن شواغل تعرضها العين على العقل، فتأخذ أو تثبّطه عن الحِفظ.

---

(١) فماذا تريد .. أكثر من هذا العتاب الجميل، والزجر الرقيق.. من ربك- يا من يتبع شهواته!- (انظر ثانيا نقطة ١٨).

(٢) انظر المثال (في ص٣٣).

(٣) ولهذا : فقد عدّ ابن القيم – رحمه الله– (فضول النظر) من أمراض القلب.

ولهذا.. يُقال أن لديه قوّةً في الحاسة (السادسة)، وهي التذكّر من اللمس أو الصوت..، وقوّة التركيز، حتى سمعت من البعض : معرفته للقادم.. من الرائحة- الجسدية- .

سادساً: كم كان (العمى) سبباً لصاحبه أن يفوق[1] أقرانه إلى المناصب والدرجات العليا، وكم من العلماء من فقدوا مع .. غياب آبائهم في الصِّغر نعمة البصر، فاجتمع عليهم اليتم والعمى، ومع هذا فقد بلغوا العلم والجاه، وتقلّدوا المناصب العليا[2].

وأحسب أن (علاّمتنا) صاحب السماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - من هذه النماذج[3] التي لا تخفى.

سابعاً: وكما عللت (في مادة[4] أُخرى) عن: الفقر، بأن الفقير: لا يُطلب منه العون المالي، وليس عليه تبعات الإنفاق حتى في الصِّعاب - كـ

(١) .. ويمكن الإشارة إلى ما دونّه الكاتب أحمد الشنواني صاحب كتاب " عظماء ومشاهير معاقون غيروا مجرى التاريخ": (أن بين النبوغ والعيوب علاقة عظيمة، أنه لولا الشذوذ عن الصحة العادية لحُرمنا كثيراً من النوابغ أهل العبقرية البارزة..!!) وكنموذج للمعاق .. في عصرنا (أحمد ياسين) الذي نحسبه بالشهيد.

(٢) كابن عودان (تـ ١٣٧٤هـ) الذي فقد بصره وهو في الرابعة، وتوفي والده وهو في السابعة، وكان له عدد من الإخوان، وكان والده يقول قبل وفاته : (إني لم أخف إلا من حاجة هذا الأعمى من بيت المال)، لكنه بلغ، حين عمل في القضاء وفي التدريس وتولى إمامة الجامع الكبير في الرياض.

(٣) ولا غرو أن يُفرد (اليوم) مؤلفات عن سيرة هذا العلم: شيخنا (عبد العزيز بن باز)رحمه الله.

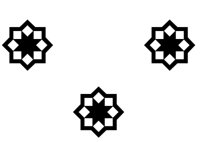
(٤) .. في أحد نقاط كتابي : (أفكار تستحق الإبحار)- تحت الإعداد النهائي .. بإذن الله-

(الدّية) - بل ويُسقطُ عنه ركنين من أركانِ الإسلام: الزكاة والحج، والجهاد أيضاً، فحين نزل قوله تعالى ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء: ٩٥] أتى ابن أم مكتوم – وكانِ أعمى- يقدّم عذره بين يدي رسول الله ﷺ فنزل قوله تعالى ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] .

وغير هذا[1] كهذا (القياس)! مما يُبنى عليه إدراك جانبٍ عظيم من رأفة الله في خلقه، القائل سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة١٤٣] .

ثامناً: وأخيراً – وهو ربما الأهمّ- : يركن بإيمانه للمقدّر سبحانه، .. إلى الالتفات إلى مكمن الإمتاع الحقيقي: آخرته.

فإن غالب أولئك من انصرفوا عن (زُخرف) الدنيا – التي صُرفوا عنها.. بما كتبه الله عليهم- إلى مطمع ما عند الله../ ما أعدّه لعباده: ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد : ٢١]



(١) وقد أرصدت لتلك المحاسن – ما أحسبه وافياً- .. في كتابي " الحياة الطيبة ".

سادس عشر
نعمة (الألم) (*) به

وقد يحسب البعض أن إيراد هذه كنقطةٍ لأحد محاسنه (مبالغةً) في هذا، أبداً والله!

فإن في الألم.. من المرض و(الإحساس) به: هي .. نعمة عظيمة[2] ألفت إليها العلاّمة "محمد الشعراوي "- رحمه الله - بـ :

(أوّل العافية: أن تشعر[3] بأنك مريض)، وقد قالت من قبل "أسماء" لابنها عبدالله بن الزبير - رضي الله عنهم- :

(إن الشاة إذا ذُبحت لا يضرها السلخ).

مما يمليه معنى قال به البردوني: **(لم تعد آلامنّا تؤلم!).**

- أي : لكثرتها، أو في تعوّد الجسد عليها، وكلاهما مثلبة، .. لا منقبة-

أجل : ففي الإحساس - أي : بالألم- تنبيهٌ يُدرك به (المريض) حاله، لكي يتم إسعافه.. قبل أن تستفحل الحالة.. وتؤول به إلى ما لا يُحمد عُقباه!، وكما ألمح أحمد شوقي: بـ :

(*) .. انظر في ما تقدم – قول السباعي : (ص ٥٧)-

(٢) وخلاف هذا ما أشار إليه المتنبي : **ما لجرح بميت إيلامُ!**

أجل، فالإحساس به من أعظم النعم، يُلزم (عندها) بعلاجه..

وإن عانى المريض من (الألم) حال الإحساس به، فهو (ألم) أخفّ وقعاً.. من تدهور الحالة!.

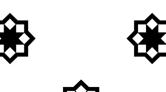
(٣) وقد ألتفتنا حديثاً إلى موطن هذه النعمة، بداء (تليّف الكبد) - حفظنا الله وإياكم- ، فلا يعلم به المريض (لفقدانه الألم به) إلا في مراحل متأخرة، إن لم يُكشف مبكّراً (وهذا ما يُنصح به كل من تعدى سن الثلاثين.. الكشف العام كل: ستة أشهر).

وأنبه ما في الحياة : (الألم) [1]!

وهي حالة ربما (موازية) حال امتلاك الإنسان الصحة أو اعتيادها - كما في إيضاح (رابعاً) ص٦٩- ،.. فإنه يغفل عن هذه (النعمة)، وقد جاء في الدعاء: الذي تقدم:{ .. وأعوذ بك من تحوّل عافيتك} إلخ، ومما يتمّ الإنباء عن عِظم هذه : من دلالة على هذا ما جاء في أثرٍ أصله[2] صحيح:

{نعمتان مجحودتان: الصحّة في الأبدان، والأمن في الأوطان}.

ثم نُفضي عن هذا، لأنّ هناك أعطاباً تمسّ الجسد لا يحفل الغالب [3]! أو ليس حفيّاً صاحبها بعلاجها (إن لم يكن لها ألم، أو مضاعفات).. أو قل حتى تبدو عليه بعض مضاعفاتها، مثلاً تأكل بعض الأسنان، وكذا ضعف البصر، أو السمع.



(١) .. فهذه من النعم المغيّبة على فطنة الإنسان، ، ويماثلها نعمة (النسيان) والسلوى، إثر فقد المرء لغالٍ.. أو عزيز عليه.

(٢) فائدة: قال ابن تيمية - رحمه الله - : (هناك ما هو معناه صحيح، وليس بحديث)- .
- ولكن يُستأنس بإيراده، لتوافق معناه، مع جملة من النصوص الصحيحة، كقولهم: (الأقربون أولى بالمعروف)-

(٣) وهذا يختلف باختلاف البشر. فإن منهم من هو حسّاس، ومنهم من يخاف ومنهم.. الخ- وإن كان:

(كـــل ما ضرّ وإن قلّ.. له ألـــم) .. ما أطول الليل على من لم ينـــم-

.. لأن هناك من الآلام التي لا يُعبأ بعلاجها، لأنها في طيّ التحمّل.

سابع عشر

أنه في هذا الحال أقلّ من الموت

(المكتوب) على الخليقة، قال تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[1] [العنكبوت٥٧]، وقال ﷺ : { تركت فيكم واعظين، الموت والقرآن }.

وليُعلم أن في هذا أبلغ ردّ لما يُتداول على ألسنةُ البعض - عن الميت- أنه:(استراح)، أو أُؤكّد على خطأ هذه المقولة..

لأن بعض من ابتلي بمرض خطير أو همّ كبير- حفظنا الله وإياكم- كثيراً ما تسمع منه تمنّي الموت!، وما علم (لو علم) أن الموت حالة أخرى- لا يمكن مقارنة حال صاحبه بأي شيء آخر-

ولهذا نجد علاّمتنا علي الطنطاوي – رحمه الله- يتهكّم على مقولة العوام – عن الميت- أنه استراح! بـ (كيف استراح، وقد قامت قيامته)! – أو أقلها أنه انقطع عن العمل للآخرة، وبدأ حسابه على ما قدم، قال صالح بن عبد القدوس:

الموت بابٌ، وكل الناس داخله فليت شعري بعد الموت ما الدار

فهذا (وربي) مربط القول .. في هذا!

(١) والعجيب أن هذه (الجملة) - من آية - تكررت بالقرآن في ثلاث مواضع، في سور: (آل عمران) و (الأنبياء) و (العنكبوت).

.. وأكّد (عمران بن حطان) :

كـلّ كـربٍ أمـام المـوت مُتّضـعُ[1] للمـوت، والمـوت فيمـا بعـده جلـل

إي والله جلل- يكفيه أنه.. قد بدأ حسابه-

شافعي .. لهذا المعنى، قول الشافعي - رحمه الله - :

والله لـو عـاش الفتـى في دهـره ألفـاً مـن الأعـوام مالـك أمـره

لم يعـرف الأسـقام فيهـا مـرّة أيضـاً، ولا خطـر الهمـوم بفكـره

.. مـا كـان هـذا كلـه بجميعـه بمبيـت أوّل ليلـة في قـبره!

ويا لها - هذه الحياة- .. من مدة قصيرة : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الروم : ٥٥] ، وقال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ [النازعات : ٤٦]، قال عمر رضي الله عنه:

(لو أن الدنيا من أولها إلى آخرها أُوتيها رجل، ثم جاءه الموت، لكان بمنزلة من رأى في منامه ما يسرّه، ثم استيقظ فإذا ليس في يده شيء)!

(١) أي : وضيعٌ قدره، وهيّن خطبه.. أمام جلال الموت!، أذكر أن أحدهم يذكر عن صديق له .. وكان مسرفاً على نفسه ، بل إن ذنوبه بعضها فوق بعض ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ [النور : ٤٠] من سوء إثم ما يقترف! وفجاءة لقيته بالمسجد فسألته عن الأمر؟ فقال (كان ابن خالي لدتي وقربي.. ويشاطرني جزءاً كبيراً من صنيعي.. وفجأة لقي حتفه في حادث، فما كان لي والله.. غير العودة لربي، لأ تدارك نفسي) – أي : قبل هذا المآل!- .

هذا عدا أن في الموت: إنتهاءً لوقت الزرع[1] لديه - أي (العمل) - ..كما قال عليٌّ رضي الله عنه عن أهل المقابر أن .. (لو نطقوا لقالوا: ﴿ إِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [البقرة١٩٧]).

- تزوّد من التقوى، فإنك لا تدري إن جنّ عليك ليل هل تعيش إلى الفجر!-

.. و لما ماتت بنت أحد الصالحين، .. رآها بالمنام تقول :

(يا أبتِ نحن هنا نعلم ولا نعمل، وأنتم تعملون ولا تعلمون، والله الذي لا إله غيره، إن قول " سبحان الله " رأيناه خيراً من الدنيا وما فيها).

ثم.. إن هذا (المآل) محقق ، فإن : **(من لم يمت بالسيف مات بغيره)** .. أقصد كـ (المرض) مثلاً - لأنه أحد صوارم عصرنا- .، أو مات بـ (يومه) أو أجله كما في الحديث: { مات حتف أنفه}- أي: طبيعياً.. وبدون سبب- ، قال (محمد البارودي) :

كـل امـرىء يومـاً مـلاق ربـه والنـاس في الـدنيا علـى ميعـاد

وكفـى بعاديـة الحـوادث منـذراً للغـافلين ولـو اكتفـوا بعـوادي

---

(١) .. ألا جزى الله خيراً ، (الواعظ).. بقوله:

إذا أنت لم تزرع ، وألفيت حاصداً ندمت على (التفريط) في زمن البذر

- ونفس المعنى، قاله الآخر :

ومن زرع الحبوب وما سقاهـا تـأوّه نادمـاً (يوم الحصـاد)

والمعاني في هذا لا تُستقصى-

دخل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك رحمه الله المسجد، فرأى شيخاً هد كيانه الزمن، وأحنى ظهره الكبر فاقترب منه وقال له مداعباً: ألا تؤثر الموت يا شيخ؟، قال الرجل : (لا يا أمير المؤمنين، لقد ذهب الشباب وشره وأتى الكبر وخيره، وأنا إذا قمت الآن حمدت الله وإذا قعدت ذكرته.. وأحب أن تدوم لي هاتان الخلتان).

فلينظـر الإنسـان (نظـرة عاقـلٍ) لمصـــارع الآبـــاء الأجـــداد
عصف الزمـان بهـم فبـدد شملـهم في الأرض بـين تهـائم ونجـاد[1]
فعـلام يخشـى المـرء صـرعة يومـه أو لـيس أن حياتـه لنفـاد؟
تعس امـرؤ نسـي المعـاد ومـا درى أن المنـون إليـه بالمرصـاد

.. فالموت: أجلٌ موقوت (لصاحبه)، وما عنه مهرب.

و.. أجاب عابد البصرة- لمن سأله: أين القوم- ذهب به إلى المقابر، وقال : هنا العمّار، فقال له أينهم- وهو يشير إلى خلو السوق- ، فقال له: (من هناك سيأتي هنا، ولا أحد من هنا سيعود لهناك)!

سـألت الـدار.. تخبرنـي عـن الأحبـاب مـا فعلـوا؟
فقالـت : أنـاخ القـوم أيامـاً.. وقـد رحلـوا
فقلـت : فـأين أطلـبهم وأي منـازلٍ نزلـوا؟
قالـت: في القبـور وقـد لقـوا (والله) مـا فعلـوا!

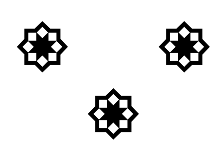
لكن كما أن هناك أسباباً لإطالة العمر منها ما هو شرعي: صنائع المرء (مع ما يقي صاحبها مصارع السوء) كما في نص الحديث، ومنها ما هو صحي: كـ (ترك التدخين، وممارسة الرياضة، وقلة الوزن، وتناول سعرات حرارية أقل)، أيضاً:

(١) أي : مكاني : (تهامة) ، و (نجد)، وهو معنى متداول بين الشعراء، قال أبو تمام:
وأنجدتم من بعد اتهام داركم فيادمع أنجدني على ساكني (نجد)

"هناك عاملان نفسيان مهمان لهما علاقة بطول العمر..

الأول أن أصحاب الضمائر الحية يعيشون عمراً أطول من الانتهازيين ومعدومي الضمير، والعامل الآخر: أهمية الاستقرار العائلي والعيش مع الوالدين (في سن الطفولة) مقابل العيش في ظل والدين مطلقين أو كثيري التشاجر" - بتصرفٍ.. مادة لـ : (فهد الأحمدي)-

أيضاً: لا غرابة أن تجد من.. أسباب قصر العمر آثاما، كـ (الزنى، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام).



ثامن عشر

المرض يبين حقارة الدنيا

أخيراً- وليس آخراً [(١)]- الإدراك (بمثل هذا الداء): أن الدنيا مهما جمع المرء أو حصّل بها، فهي لا تستحق ما يبذله في سبيلها! وإن هي - كما أنبأ عنها خالقها- : ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [(٢)] [آل عمران : ١٨٥]

لأنها من ناحيتين، الأولى: أنها إلى زوال [(٣)]، وأكبر دليل أمامك- على ذلك- (صحتك) .. التي يتخللها مثل هذا العارض، فـ:

حسبك (داء) أن تصحّ وتسقما !

---

(١) لأني أحسب أن هناك منافع أخرى – لكني.. أو لعلمي القاصر.. لم أبلغها!، كما أوضحت في ختام ص١٢٦-

(٢) قال بعض الحكماء: إن الدنيا تقبل إقبال الطالب وتدبر إدبار الهارب وتصل وصال الملول وتفارق فراق العجول فخيرها يسير وعيشها قصير وإقبالها خديعة وإدبارها فجيعة ولذاتها فانية وتبعاتها باقية فاغتنم غفوة الزمان وانتهز فرصة الإمكان وخذ من نفسك لنفسك وتزود من يومك لغدك.

ولهذا فلا عجب أن يُقرب عنها ما يدعمها:

(كان " محمود نور" يسير مع رفقته والشمس خلفهم، ثم توقف وأدار وجهته إلى الشمس، وقال لهم مُشيراً إلى ظله: هكذا الدنيا، إذا تركتها وراء ظهرك تبعتك، وإن تبعتها فرّت منك).

(٣) أجل، قال الحكيم:

تُروّعنــا الجنائز مقبــلات	**فنلهو حين تذهب مدبـرات**
كثُلَة أيل ريعت[(*)] بذئــــبٍ	**فلما غاب.. عادت راتعــات**

- (*) أي : ارتاعت منه، فولّت هاربة.. من الذئب-

الثاني: أن من يعلم (إدراكاً) من قبلك بهذا ، قال عنها إني :
اتخذتها إليك – يارب – سلّما[1].

.. وهذا من قوله ﷺ : { موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها}.

روى ابن عيينة، دخل هشام بن عبد الملك الكعبة فوجد سالم بن عبدالله، قال سلني حاجتك، فقال سالم: إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره، فلما خرجا قال الآن فاسألني حاجتك، فقال سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟، فقال الخليفة: من حوائج الدنيا فقال سالم: (والله ما سألت الدنيا من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها)[2]. فأكبر الخليفة له.. هذا الجواب.

ثم.. استرسالاً إن الله قدّر البلاء، فهذا ثلاث من الخلفاء الراشدين - وأفضل ما خلق الله بعد النبيين- قضوا نحبهم (قتلاً)، فماذا يعني هذا؟ لا شك أن الجواب معلوم، لكن .. لا خوفَ – بإذن الله- على النفس المؤمنة، للحديث القدسي.. يخاطب رب العزة والجلال جنّته :

{ يوشك عبادي يأتوك.. بعد أن أضنتهم الدنيا وأتعبتهم} فالموت (هنا) .. فقط يكون: راحة المؤمن.



(١) وأجاب النابغة النبي ﷺ حين : سأله {إلى أين}؟ قال (إلى الجنة يا رسول الله)، وعمر بن عبد العزيز ختم جواب نفسه السامية الهدف (.. إنها تتوق إلى الجنة).

(٢) وكذا ابن تيمية ترك الدنيا وما فيها لأهلها، وطلب الآخرة ممن يملكها سبحانه.

وبعدها :

فما هذا (الطارق) إلا وقد حماك - بإذن الله - :

من فعلة شنعاء! أو وقاك من داهية دهياء، وكفّر عنك آثار الفحشاء، ورفرفتَ به روحك من الأرض إلى السماء، فكم من عليل .. وفي خير كثير - وهو لا يعلم -

يا نائماً فوق (السرير) مُمرّضاً مرّت على آلامه أعوامُ
أبشِر[1]، فإن الله زادك رفعةً في كُلّ مكروه أتى إكرامُ

.. وهذا مع ما يحصل من تنبيهٍ عن التمادي، والغفلة[2]، أو.. أقلّها: التقصير.. وربما (الزهوّ) بالنفس!

أو حتى الظنّ: بالاستغناء بما عند (النفس) عن مولاها، وفي الأثر : (أيما امرىء جاءته موعظة، فهي نعمة من ربه عليه).

بورك الخطب يبلوني إذا كانت (العلياء) فيه السببا

فعلى الحصيف.. أن يجعل مِن الفاجعة والمحنة كهذه: سبباً، ومناسبة لمراجعة النفس، ومحاسبة الذات، والنظر في موضع التقصير.. إلخ.

(١) فإن المريض والمبتلى – بفقد عزيز (مثلاً)- في مخايل نعمتين: المريض: أمل الشفاء، والمبتلى : أمل النيسان.

(٢) فإن أعظم مصيبة تحلّ بالإنسان هي النسيان، .. أو/ أن تأخذ المرء سكرة الدنيا، فيكون حاله .. في المآل ﴿ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ [الجاثية : ٣٤].

بل إن عدم غشيانها بهذا العارض، قد تذهب به بعيداً، كالاتكاء بقُدراتها من أنها بغنىً عن الخالق!، و.. قد تقدّم عن هذا الإنسان أنه قد خُلق: ﴿ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (النساء ٠٢٨)، والفالح: ذاك الذي يتعاهد نفسه كلما فترت، ولا ينتظر كهذا (البلاء) لكي يُفيقها، أو يوقفها عن المضي إثر سكرتها، وكما قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ (الشمس٠٠٩) .

.. وإلا فإن الإنسان - (طبعاً).. لا كفراً- : ﴿ لَيَطْغَىٰٓ[1] ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ (العلق ٧/٦) وإلى زينة الدنيا يصغى، فعلم الله أن تهذيبه في تعذيبه، وتقريبه في تأديبه، فكلما ضُرب العبد سوطاً ، عاد إلى ربّه شوطاً .. قال المتنبي :

لعل عتبك[2] محمودٌ عواقبه (وربما صحَّت الأجسامُ بالعللِ)

.. **وأجزم** أن هناك (محاسن) [3] غير ما تقدم لم أقع عليها- أو حتى.. لم يطلها علمي القاصر- قد يغفل عنها الكثيرون.. ممن

---

(١) الطغيان: الزيادة عن الحد ، أي: (يطغى)، وإما بسبب جهله أو ظلمه - أو معاصيه[*]- ، .. كما قال السعدي في تفسيره ص٩٣٠.

(٢) وقد قيل: ليس عيباً أن تكون بقدم واحدة!، لكن العيب : أن تكون بقدمين، فتمشي بطريقة خاطئة!

- أي : تستطيع أن تُنتج.. ومع ذلك لا تفعل (كما قيل : لا تقتل إنسانيتك بذل السؤال!) ، وقال المتنبي : **ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام** –

(٣) .. والتي لا أدّعي أن أفكار هذا الطرح (جديدة)، لكنني أقول جمعت (هنا..) شتاتها.

ينشغلون بآلامه أو يُشغلون بالعلاج أو حتى في البحث عن العلاج - منه- عن استقراء خيره: (الخفي)[1]، وذاك - سبباً- :

إن في وهن الجسد ما يُغيّب عن (الغالب): التفكير بغير أسباب الشفاء! وربما الإشكال الغائب - عندها - أن المرء حال المرض وفي خِضمِّ مُعاناته ، وأتعابه منه، يتوارى عنه التفكير في غير العلاج.. حتى عن تدبّر سبب ما جاشه على الأقل! وهذا (أو معه) فإنه لا يمنع أن يقبل العذر .. أو هو موقوف على تقدير ظرف المريض.. : (حاله.. وحالته).. أو لما يجد[2] من ألمٍ!، لا على ما يجدّ[3] في حالته فحسب !

يا مَن يُعاتب مذبوحاً على دمه ونزف شريانه! ، ما أسهل العتبا
من جرّب (الكيّ) لا ينسى مواجعه ومن رأى السُّم (لا يشقى) كمن شرِباً

والمتنبي يدحض مرام من يعتب بتقريبٍ جميل:

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى تكن حشاك في أحشائه

.. فإذا كان الخالق (سبحانه) يعذر عندها، مثلاً: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾[البقرة: ١٨٤].. حتى يبرأ، ثم يصوم بعد

(١) .. كما سيأتي (إيضاحاً) في ثنايا ص١٦٢.
(٢) .. أي : ما يُقاسي، قال عمر بن أبي ربيعة :
.. يا ليت (هند) انجزتنا ما تعد و(أشفت) القلب مما يجد!
(٣) أقصد.. عما يتجدّد – زيادة أو نقصان- في الألم.

رمضان هذه (العدّة)، فمن باب أولى.. الأخذ بأدب الله، وتقديم الأعذار بحقّه.

فـ .. لا تعاتبه على (أنّاته)! ولكن أوصِه بالصبر والاحتساب .. وبذل (عمل) الأسباب، ولذا يُنصح بل يُحثّ كل من لديه مريض بخاصة صاحب المرض المزمن، بالصبر على بلواه!

واذكر لعمتي نوره- يرحمها الله- مقولة ماثلة:

"إن كان حظك صخراً فاحمله"، وتجلّد (بعدم الشكوى)، وليعلم عندها: أن (المجتمع) بالغالب يعذره.

كيف لا! وقد تواطؤوا على مقولة أصبحت كالعرف:

إن **(مصاحب المريض)** .. مريض مثله، أو معذورٌ به- قصدهم أنه مشاطر له .. ولو بهمّه-

ثـم.. واعلم (يقيناً) من قاعدة إيمانية: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (الشعراء ٨٠) أن العلاج سبب[1]، أمّا الدواء (الحقيقي) يأتيك من المُسبّب سبحانه، لأن الدواء يُعالج (الداء)، لكن ليس بالضروري يجدي أو يبلغه الشفاء، لأن الشفاء يقضي على الداء، وتدبّر معي قوله تعالى :

---

(١) أي .. لتعلم أنِ : ما علاج بمجدٍ!، لكنه سبب، ويدلنا على هذا قوله تعالى - عن العسل - : ﴿ فِيهِ شِفَاء ﴾ [النحل : ٦٩] أي كما قيل : إنه فيه شفاء لإنسان ما..، وقد لا يكون فيه كذلك لغيره!، لأن النصّ لم يقل أو يؤكّد أنه ﴿ هُوَ شِفَاء ﴾ [الإسراء : ٨٢] والله أعلم.

ودليلُ هذا كم .. تجد أن اثنين يشكوان من علّة واحدة، ويتناولان علاجاً واحداً، فأحدهما يُشفى(*) والآخر يترادى، إن لم يمت!

- (*) وفي ثنايا هامش (١) ص١٣٣ .. بعض أسباب هذا !-

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] [الإسراء : ٨٢] وتأمّل هنا كلمة (شفاءَ)، فقد جاءت لتفيد أن القرآن شفاء من كافة الأمراض، فلم يقل سبحانه (دواء)، لأن هذا المعنى قاصر على بعض لا الكل، فهي لا تداوي - أي الأدوية- سائر الأمراض، وكذا ليس كما ذكرنا: قطعياً يحصل الشفاء!

بينما كلمة شفاء تعني حصول الشفاء التام من هذه الأمراض، ولا حاجة حينئذ للدواء لحصول المقصود، وهذا لون من إعجاز كتاب ربنا جل وعلا.

وكم أجاد (متسائلاً) الشاعر.. بهذه :

قُل للطبيب تخطفته يد الردى … من يا طبيب بطبه أرداكا؟

---

(١) .. بل (غير المؤمنين) — في الشفاء.. لا الرحمة- والله أعلم/

جاء في عنوان : النصارى يعالجون بالقرآن — تحت الأرض..- ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف : ٨] في احد الدول الغربية وفي مستشفى كبير، وفي البدروم منه ما يقارب مساحة متوسط أحد مساجد الجمعة لدينا وبين يدي سماعات أعلى مرتبة في الصوت (كما يذكر الراوي)، فإذا هي عيادة (سرية) يعالج فيها النصارى.. وبصوتٍ لأئمّة الحرم: السديس والشريم " القرآن الكريم" مرضاهم بتلك الأماكن، حتى أنه يذكر — كما قال الراوي- أنه : (إذا دخلها مئة رجل.. يخرج منها وبعد أسبوع واحد فقط يسمع به القرآن بصوت الشيخين ومن معدل ١٠٠ شخص منه كل سبع أيام ما لا يقل عن ١٧ أو ١٨ واحد شفاءً تاماً.. من الجن ومن الشياطين ومن السحر..)، لكن.. أو لماذا ، فقط دليل على أن هذا الكتاب العظيم هو: ﴿ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٩] صدق الحق سبحانه وتعالى.

قـل للصـحيح يمـوت مـن لا علـة ... مــن بالمنايــا يــا صــحيح دهاكــا؟
قـل للجـنين يعـيش معـزولاً بـلا ... راع ومرعــى.. مــا الــذي يرعاكــا؟
قـل للوليـد بكـى وأجهـش بالبكـا ... لــدى الــولادة مــا الــذي أبكاكــا؟

نُعيد: إنه القائل في محكم التنزيل: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

ولهذا فإني أُذكّر بالاتكال الحقيقي والتوكل الناجع في الالتجاء إليه عزّ اسمه، برجائه ودعائه.. بإخلاص، مع صدق الإنابة إليه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ١٧﴾ (الأنعام ١٧)، والتسليم لقضائه، فحين قيل لأبي بكر رضي الله عنه - وقد احتضر- : ألا ندعو لك بطبيب؟ قال: (قد نظر إليّ طبيبي وقال: إني فعّال لما أريد)[1].

كما وعليك- مع الدعاء- بكثرة (الصدقة)، لحديث: {داووا مرضاكم بالصدقة}[2]، وقد روى الشيخان حديث: {كل سلامى[3] من الناس عليه صدقة..} .. وأيضاً في الحديث الآخر: {إنه خَلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبّر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس، أو أمر بمعروف ونهى عن منكر عدد الستين والثلاثمائة، فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار} رواه مسلم.

---

(١) تاريخ الخلفاء (للسيوطي) ص١٠٠- ، وجوابه.. اشتقاقاً من الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]
(٢) وانظر للإفاضة: كتاب (التداوي بالصدقة) لحسن همام، وأيضاً كتاب (عجائب الصدقة).
(٣) والسلامى: أي العضو من أعضاء جسم الإنسان ومفاصله.

وهنا ملحظ يحسُن ذكره :

.. يظن أقوامٌ أن السعادة تكون بالأخذ!،.. لكنهم سرعان ما يكتشفون أنها موجودة في العطاء- كـ: صفحٍ عن مُسيىء مثلاً[1].. كذا في زيارة مريض، صلة قريب، عمل أمر غير مطلوب منك مباشرة، ابتسامة.. إلخ.

يُذكر أن عبدالله بن المبارك - رحمه الله - سأله رجل عن مرض أصابه في ركبته منذ سبع سنين وقد عالجها بأنواع العلاج وسأل الأطباء فلم ينتفع، فقال له ابن المبارك: (اذهب واحفر بئراً فإن الناس بحاجة إلى الماء فإني أرجو أن تنبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل ذلك فبرأ)، وليست بدعاً هذه النصيحة، لكنها استرشاد من الحديث: { صنائع المعروف تقي مصارع السوء} رواه الطبراني.

ولئن كان هذا.. أو بعضه: (من أسباب العلاج) .. فإن الإحتراز من كافة العلل هو: بالوقاية: وهي (ترك) المعاصي صغيرها وكبيرها، فذاك وربي أحد أهم طُرق السلامة – مع شرح الصدر-

ويأتي هذا.. عند تفقّدك النفس، والمبادرة إلى ترك المعاصي.

.. أتريد مخرجاً مما أنت فيه (أيها الضائقُ الصدر) وأنت ترتعُ في بعض المعاصي!، كيف؟

---

(١) و.. كذا قرّب المرمى أحد الشعراء:

إن كنت لا أعفو عن الذنب من أخٍ وقلت أُكافيه، فأين التفاضـــلُ؟

يا عجباً لك! تسأل الله لنفسك حاجاتها، (وتنسى جناياتها)! ألم تعلم هداك الله أن الذنوب باب مُشرعٌ تلج منه المصائب على العبد، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] ولاحظ كرمه.. حين ختم الآية بـ ﴿ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠].

.. و كذا (الرقية الشرعية) [١] التي هي من القرآن : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ [٢] وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الإسراء ٠٨٢)، وصيغتها من " رقية جبريل" عليه السلام عندما أتى النبي ﷺ فقال : (يا مُحمد أشتكيت؟ فقال : {نعم} ، قال : بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك [٣]، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك) رواه مسلم، تكرر ثلاثاً.

.. قال الشيخ (سعيد حوى): " والتوقّي من الجن والشياطين يكون بالذكر والاستعاذة وتلاوة القرآن والصلاة، ومن أصيب بسبب من الجن فبالإمكان معالجته بتلاوة المعوذات وآية الكرسي، وقراءة سورة البقرة".

(١) .. انظر كتاب (العلاج بالرقى من الكتاب والسنة) للشيخ " سعيد القحطاني "، وكتاب (أحكام تهم المسلم) د. عمر الأشقر.

(٢) بل عدّ بعض العلماء من هجران القرآن : (عدم التداوي به) . كما قال تعالى : ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان ٣٠]

(٣) فقوله : (من كل شيء يؤذيك) يدل على عموم أي مرض.

.. ونقلاً عن (د. عبد الرحمن الرشيد) – حفظه اللّه- فقد أوضح : " أن هناك ما لم يفد فيه الطب[1] العضوي أبداً ١٠٠٪ - لوجود سبب ما .. جرثومي أو فيروسي لا يظهر[2] مع إجراء كافة التحاليل- لكن تبين أن الرقية الشرعية أفادت ١٠٠٪ وخصوصاً الجلطات الدماغية "[3].

.. إذاً فالأدوية الشرعية والحرص عليها مُقدّمة على العلاج، وهي موجزةً: (الدعاء، التوبة الصادقة، الصدقة، الرقية الشرعية).. وإن ما قلناه عن (الدعاء) ينسحب على هذا ، في الصبر وطول النفس[4]، أي: عندما نتعالج بهذه (الرقيّة).

وإليك المثال (المجرّب) : لعلاج السرطان، والذي قام بتجربته.

---

(١) وكذا أجاب (د. صالح اللحيدان): عن أحد مناحي عدم التجاوب مع العلاج بقوله : في مثل هذه .. الحالة/ لا جرم فالحالة النفسية مهمّة جداً أن يكون المرء سوياً مؤمناً بقضاء اللّه تعالى وقدره مع بذل الأسباب للعلاج وخاصة :

١- الرقية الشرعية الصحيحة. ٤- عدم التنقل من طبيب إلى : آخر .

٢- رد الحقوق إلى أصحابها. ٥- تجنب (مثيرات المرض).

٣- التنبه جيداً إلى (ضبط العلاج).

(٢) فـ .. مثلاً: { الطاعون : وخز من إخواننا الجن} كما في الحديث.

(٣) كما جاء في صحيفة (الجزيرة) عدد ١٢٦٦٤.

(٤) وهذا أمرٌ مهم، فلا يظن أنه حال انتهائه من هذه الرقية: قد طرق الشفاءُ بابه!

أخ فاضل، وقد قام بالعلاج لمائة وثماني عشرة حالة سرطان[1]، .. فمنّ الله عز وجل على جميع الحالات بالشفاء التام .

.. وقد (صدّره) — حفظه الله — بهذا الإيجاز:

" يقول رب العزة جل وعلا : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً ﴾ [الإسراء : ٨٢]

اشترط الله سبحانه وتعالى لحصول الشفاء الإيمان، وقد أكد المولى تعالى على أن الشفاء في هذا القرآن (ولم يقصد الشفاء الذي يحصل من القرآن على شفاء الصدور) ولكن الشفاء العام بـ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء ﴾ [الإسراء : ٨٢] فالشفاء الذي في القرآن عام لجميع الأسقام.

ومن الأمراض التي تم علاجها بالقرآن شاهدة حيّة بعد يأس الأطباء من شفائها وحدّدوا نهايتها بأسبوعين فقط (مرض السرطان) - حفظنا الله وإياكم- ، حيث قد تم علاج مائة وثماني عشرة حالة (سرطان) مختلفة برئت بفضل الله جميعها.

و (العلاج) يتضمن التالي: الاستماع إلى القرآن الكريم، والاغتسال والشرب من الماء المقروء عليه قرآن، ودهن مكان الورم السرطاني بزيت زيتون (مقروء عليه) بآياتٍ من القرآن، **وهذه هي الآيات .. التي تُقرأ :**

(١) ما بين سرطان دم أو سرطان ثدي أو سرطان رحم أو بالمعدة أو بالرئة — حفظنا الله-

١- الفاتحة .
٢- أول خمس آيات من سورة البقرة.
٣- الآيات ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥ من سورة البقرة.
٤- آية الكرسي وآيتان بعدها- من سورة البقرة -
٥- آخر ثلاث آيات من سورة البقرة.
٦- أول خمس آيات من سورة آل عمران.
٧- الآية رقم ١٨ من سورة آل عمران.
٨- الآيتين ٢٦، ٢٧ من سورة آل عمران.
٩- الآيات ٥٤، ٥٥، ٥٦ من سورة الأعراف.
١٠- الآيات ١١٧، ١١٨، ١١٩ من سورة الأعراف.
١١- الآيات ٨٠، ٨١، ٨٢ من سورة يونس .
١٢- الآيات ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩ من سورة طه.
١٣- الآيات ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨ من سورة المؤمنون.
١٤- الآيات ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤ من سورة الحشر .
١٥- أول خمس عشرة آية من سورة الصافات .
١٦- الآيات ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤ من سورة الرحمن.
١٧- الآيتين ٣، ٤ من سورة (الملك).
١٨- الآيتين ٥١، ٥٢ من سورة القلم.
١٩- الآية رقم ٣ من سورة الجن.
٢٠- سورة الكافرون.
٢١- سورة الفلق .
٢٢- سورة الناس .

.. ثـــم :

١- تُقرأ الآيات السابقة سبع مرات على كمية من الماء تكفي للاغتسال مرة يومياً لمدّة أسبوع والشرب ثلاث كاسات يومياً.

٢- تقرأ الآيات السابقة على كمية من زيت الزيتون تكفي لدهان العضو المصاب لمدّة (واحد وعشرين يوماً).

و.. بعد قراءة الآيات السابقة، يتم قراءة الأدعية الآتية على الماء والزيت:

(اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يُغادر سقماً) ثلاث مرات.

(أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك) سبع مرات.

(أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون) ثلاث مرات.

(بسم الله الشافي، اللهم اشف عبدك وصدّق رسولك).

بعد قراءة الآيات والأدعية السابقة بالعدد المذكور على الماء والزيت، يتم الاغتسال يومياً وشرب كأس من الماء صباحاً وظهراً وليلاً يومياً، .. مع دهن العضو المصاب بزيت الزيتون.

فإذا كان (الورم) موجوداً في الدم يتم دهان العمود الفقري والرجل اليمنى والرجل اليسرى أما إذا كان الورم بأماكن ثانية كالثدي أو الرحم أو المعدة أو الرئة يتم دهن العضو بالزيت من الخارج.

يُكرر الاغتسال لمدة واحد وعشرين يوماً مع الدهن بالزيت، يتم قراءة الرقية السابقة كل أسبوع مرة فيبرأ المريض بإذن اللّه". أ هـ.

ولكن الأهم في هذا هو (المداومة) وعدم اليأس، مع إحسان الظن: بأن مَن قدّر إنزال البلاء.. قادرٌ على رفعه.

فـ .. إلى كل من أعياه الحزن وأقضّ مضجعه الألم أُذكّره بقول أحد الحكماء:

ولربَّ نازلةٍ يضيق بها الفتى ... ذرعاً، وعند الله منها المخرَجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فُرجت، .. وكان يظنها لا تُفرجُ

إذاً، .. لا يُمنع بعد هذا.. أو تأتي الأسباب: في العلاج، لأن الشارع أمر بالتداوي[1]، وأنه لا يُنافي التوكّل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحرِّ والبرد بأضدادها.

لكني أبسط بهذه الإلمامة:

(١) .. حتى أن اللّه ألهم فطريّاً لهذا، .. ذكر أحد علماء الأحياء - بأمريكا- : (أن هناك طبيباً شاهد في طريقه كلباً مصاباً بكسر إحدى قوائمه.. فحمله إلى عيادته البيطرية وقام بمعالجته.. وبعد أن تماثل للشفاء أطلق الطبيب سراح الكلب، وبعد فترة من الزمن سمع الطبيب نباح كلب عند باب عيادته، فلما فتح الباب وجد الكلب الذي عالجه ومعه كلب آخر مصاب) - فيا سبحان اللّه من الذي علمه هذا؟ إنه اللّه، القائل سبحانه وتعالى : ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [طه٥٠] -

(الإنسان حريص - بوسائله البدائية - على الدواء منذ أن عرف الداء، لأجل استمرار أداء مختلف وظائف أعضائه كافة.. دون تشخيص من أطباء في مستشفيات متخصصة لكي لا تتضاعف وتصل لأعراض مزمنة، أو مستعصية، إما بشعور بالألم أو ارتفاع في درجة الحرارة، أو لإحساسه بتعب أو فقدان شهية أو أرق عن نوم.. الخ.

كما أن كثيراً من الأشخاص لديهم مقاومة ذاتية لأكثر الأعراض المرضية العارضة التي لا تترك أثراً سيئاً فيهم، والتي منها - على سبيل المثال - أعراض البرد " الرشح والكحة والحمى"[1].

وأما الأدواء التي تزداد شدة وطأة أعراضها، ولا يعلم المريض سبب حدوثها، فإن (فطرته) التي فطره الله عليها، - لغريزة البقاء- فقد استدل على علاج أكثرها، إما بنبتة من نباتات الأرض فاقتلعها وأخذ شيئاً من أوراقها، أو غصونها، أو جذورها، وتجرعه رغبة في الشفاء من الداء الذي كدّر صفو حياته فشعر - بتجربته لذلك- بتخفيض حدة أعراض الألم)[2].

---

(١) لا زال الإنسان يتغلب على أعراض البرد والتي من أكثرها الرشح الذي لا يترك آثاراً سلبية على صحته حيث يُشفى بمشيئة الله بتحفّظه من البرد، وتجنب شرب السوائل الباردة ، وذاك كله دون زيارة الطبيب.. وعرض إصابته وصرف دواء من أكثره مضادات حيوية، ومسكنات قد تخفي الأعراض وتبقي الداء، أو تُحدث أعراضاً أكثر خطورة.

(٢) بتصرف ص ١٦٩/ من كتاب (بريدة.. في الماضي والحاضر)، لـ : " أحمد المنصور".

ولا أحسب أن اثنين يختلفان في هذا، هذا.. وقد أوجز (د. ياسر أبو زيد) أن :

" الطب النبوي قسمان :

أ/ وقائي - كالنظافة والغسل، والابتعاد عن التلوث، وتجنب الأسباب[1].

ب/ علاجي- الأكل والشرب، وتناول العقاقير ".

ودلالة القسم الأول : ما أُمر به زائر المريض بالغسل والنظافة قبل الدخول على المريض، وبعد الخروج من زيارته، وهذه أمثلة من أوامره .. كقوله ﷺ : {إن الشيطان حساس فاحذروه على أنفسكم من بات، وفي يده غمر[2] فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه}. وفي قوله ﷺ : { الوضوء قبل الطعام بركة، وبعده ينقي اللمم}[3].

---

(١) ولا غرو.. أن حرّم الإسلام- من قوله تعالى : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] - : الأغذية الضارة بالجسد كالسموم والمخدرات، والخمور، والدخان، وكل ما يؤدي إلى ضعف الجسد أو الضرر به- وقانا الله وإياكم من كل مكروه –

وكذا حديث { لا يوردن ممرض على مصحّ} وقال ﷺ : { إذا سمعتم بالطاعون بأرض، فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها ، فلا تخرجوا منها}.

وهذان الحديثان أصل في العزل والحجر الصحي – للأمراض المعدية- ، الذي عُرف بعد ذلك بقرون، إيجازاً من الحديث { لا ضرر ولا ضرار}.

(٢) الغمر هو : بقايا الطعام في اليد.

(٣) مراده بالوضوء هنا غسل اليدين. واللمم: الجنون.

ويوجز المرام حديث: { ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه}[1].. وكما ورد (المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء)، جزء من معنى الحديث {كفى المرء لقيمات يقمن صلبه}.

أن لا تقعد على الطعام إلا وأنت تشتهيه، وتقوم منه وأنت تشتهيه (أي قبل أن تشبع) للحديث {نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع} ، أي : نقوم منه قبل أن نشبع.

وإليك أقوال من سبق، .. فمن وصايا "بقراط":

(الإقلال من الضار خير من الإكثار من النافع).

ومن وصايا للحارث بن كلدة - طبيب العرب- :

(من أراد الصحة فليجود الغذاء وليأكل على نقاءٍ وليشرب على ظماء وليقلل من شرب الماء ويتمدد بعد الغداء ويتمشى بعد العشاء ولا ينم حتى يعرض نفسه على الخلاء وليحذر دخول الحمام عقيب الامتلاء ومرة في الصيف خير من عشر في الشتاء)... الخ.

وقال أيضاً: (من سرّه البقاء – ولا بقاء – فليُباكر الغداء وليعجّل العشاء وليخفف الرداء وليقلل غشيان النساء).

ولما احتضر – أي: الحارث - اجتمع إليه الناس فقالوا: مرنا بأمرٍ ننتهي إليه من بعدك؟ فقال : (لا تتزوجوا من النساء إلا شابة ولا تأكلوا من الفاكهة إلا في أوان نضجها ولا يتعالجن أحدكم ما

(١) قال (ثابت بن قرة): " صحّة. الجسم في قلة الطعام، وصحّة القلب في قلة الآثام.. الخ".

احتمل بدنه الداء[١]، وعليكم بتنظيف المعدة في كل شهر فإنها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة منبتة للحم وإذا تغدى أحدكم فلينم).

وهنا .. لابد من إشارة مُهِّمة: إن (العلاج).. يسبقه المعرفة الحقيقية بالداء، وذلك ليسهل علاجه مِن قِبل مختصٍ، و قد نُسب لابن سينا قوله : (لا تُداووا أحداً حتى تعرِفوا مرضه) [٢]، قال الإمام ابن القيم الجوزية – رحمه الله- (فهناك أمور ثلاثة: موافقة الدواء للداء ، وبذل الطبيب له[٣]، وقبول طبيعة العليل، فمتى تخلف واحد منها لم يحصل الشفاء، وإذا اجتمعت حصل بإذن الله "الشفاء" ولابد).

.. ذهب رسول الله ﷺ ليعود أحد أصحابه المرضى، وبعد أن رأى المريض ودعا له بالشفاء، قال لأهله: {ادعوا له الطبيب}، فقالوا متعجبين: (وأنت تقول ذلك يا رسول الله)؟، فقال : {نعم.. تداووا[٤]

(١) في تفعيل المقاومة الجسدية، وتنشيط جهاز المناعة إلى أقصى مداه.
- أيضاً: فيما أشرت له.. عن نعمة الإحساس به نقطة (١٦).. ص١١٥-

(٢) ونسبت المقولة لأبي بكر (الرازي) – صاحب "الحاوي"- .. وللعلم فهو(أوّل) من فصل الطب عن الصيدلة.

(٣) وإلاّ فإنه:

إذا (الجرح) رُمَّ على فســـاد   تبيّـــن فيه إفراط الطبيـــب

(٤) قال د. عبدالله السدحان: (القرآن الكريم علاج لكل شيء ولا يعارض ذلك الأخذ بأسباب العلاج الأخرى).

عباد الله فإن الله لم يُنزل داء[1] إلا أنزل له دواء .. إلا الهرم، والموت}[2]، والهرم: أي كِبَر السن- ، وكان رسول الله ﷺ إذا مرض لا يداوي نفسه، بل يستدعي الأطباء لعلاجه، وفي هذا تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (إن رسول الله ﷺ كان يسقم في آخر عمره، فكان يفد عليه أطباء العرب فينعتون له الأنعات ليعالجوه بها)..

.. إن (منهج المسلم) في العلاج هو: التوكل على الله[3] سبحانه وتعالى أولاً، ثم بذل كل الأسباب والطرق التي تؤدي إلى الشفاء بإذن الله تعالى.

---

(١) الداء في اللغة : العيب والداء، وفي الاصطلاح ما أطلقه الأطباء العرب على " كل عيب باطني يظهر منه شيء أو لا يظهر منه شيء" وجمع داء : أداء، يُقال في اللغة داء عضال ، وداء دفين..

والدواء أو الدوا، والجمع أدوية: ما يؤثـّر قليله البدن تأثيراً .. إما بكيفية معينة: ويستعمل لقصد إزالة الداء، أو الألم، أو لأجل حفظ الصحة..

انظر : القاموس الإسلامي ، وضع أحمد عطية الله، المجلد الثاني، ص " ٣١٥، ٤٠٢" مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦هـ.

- .. وقد بالغ أحد الشعراء بـ :

لكل (داء) دواء يستطبّ بــــه إلا (الحماقة) أعيت من يداويهـــا! -

(٢) رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه- والهرم هو : أخو الموت ، لأنه قد تموت فيه كثير من قدرات الانسان، وغالبه ما تزول بحلوله.. مُتعة العيش!-

(٣) .. حق التوكّل، فإن درجة سامية منه تُغني عن العلاج أصلاً، كما في الحديث: { لو أنكم تتكلون على الله حق التوكل..} الحديث.

وليس من منهج الإسلام أن يهمل الإنسان نفسه أو يستغنى عن وسائل علاجية نافعة يسّرها الله سبحانه وتعالى بقدرته له.

وإلى هذا بيّن ﷺ أن: { ما أنزل الله من داء إلا وأنزل معه دواء، عَلمهُ من عَلمهُ، وجَهلهُ من جَهلهُ} ، وروى مسلم : { لكل داء دواء} ، ومن ذلك الحجامة : التي قال فيها المصطفى ﷺ : { إن أَمثل ما تداويتم به الحجامة}[1] أخرجه البخاري ..وقد احتجم ﷺ، كما روى أنس ﷺ، وروى أيضاً قوله: { الشفاء في ثلاث.. شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار.. وأنا أنهى أُمّتي عن الكي }.

.. ثم إن "العلاج" شُرع التماساً للشفاء و(اقتضاء للسبب) كما في الحديث الذي تقدم، فإنه وكما على المسلم أن يتداوى بالأمور الشرعية (المعنوية) -.. كإحسان الظن بالله، ورجاء رحمته .. مع صدقٍ في التوكّل- وكذا (الحسية): كاستعمال الرقى الشرعية..

فإن عليه أيضاً: التداوي بالأدوية المعلومة عند أهل الطب.. ولا يُهمل، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

---

(١) وللحجامة فوائد عديدة بإذن الله في حالات كالصداع المزمن والشقيقة.. وآلام الروماتيزم والضغط المرتفع والأرق وغيرها..

.. لكن هذا مقيّدٌ بشرط أن يكون مما أحل الله .. وبيان هذا جاء ردّاً على سؤال : هل يجوز الذهاب إلى ساحر من أجل حل السحر؟

وجوابه: (لا يجوز حل السحر بالسحر، وإنما يُحلّ السحر بالقرآن الكريم والأدعية النبوية، والأدوية المباحة.

أمّا السحر فهو كفر وردة وخروج عن الإسلام ، فلا يجوز فعله، ولا الذهاب إلى الساحر طلباً للشفاء، وقد سُئل النبي ﷺ عن "النشرة" وهي حل السحر، فقال : { هو من عمل الشيطان} رواه أبو داود، وصححه الألباني.

قال ابن القيم – رحمهم الله- : (والنشر حل السحر عن المسحور، وهو نوعان : حل سحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، فإن السحر من عمله، فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات[1] والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائز، بل مستحب)[2].

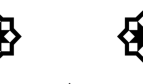
---

(١) كسورتي (الفلق) و (الناس).

(٢) .. من كتاب (فتاوى إمام المفتين) - ص٢٠٧و ٢٠٨- ، ثم إن هذا تعقيب على ما قال بعض أهل العلم عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه يرى جواز حل السحر بالسحر للضرورة، وإن كان جواب ابن المسيب –رحمه الله- ليس صريحاً في جواز حل السحر بالسحر، بل يحتمل أن أراد =

وعلّق شيخنا محمد بن عثيمين- رحمه الله - : على الحديث الذي تقدم[1]: (وهذا الحديث بيّن فيه الرسول ﷺ حكم "النشرة"، وأنها من عمل الشيطان، وهذا يُغني عن قوله إنها حرام، بل هذا أشد من قوله : إنها حرام، لأن ربطها بعمل الشياطين يقتضي تقبيحها، والتنفير عنها، فهي مُحرّمة).

.. واستطراداً- أو .. أبسط بهذه الإلمامة:





= حله بالطرق المباحة، ومع ذلك فقد أجاب الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله- عن هذا بقوله في " القول المفيد" (٧٣/٢): " ولكن على كل حال حتى ولو كان ابن المسيب، ومن فوق ابن المسيب ممن ليس قوله حجة يرى أنه جائز، فلا يلزم من ذلك أن يكون جائزاً في حكم الله حتى يعرض على الكتاب والسنّة، وقد سئل الرسول ﷺ عن النشرة، فقال : { هي من عمل الشيطان}" انتهى. .. وقد فهم بعضهم من تجويز الإمام أحمد للنشرة أنه أجاز حل السحر بالسحر، وإنما قصد بكلامه- رحمه الله- في الرقية الشرعية المباحة.

(١) في .. المرجع السابق (٧٠/٢).

الوقاية(*) - أو (الوعي) - :

.. وهو ما أحب أن أدلي به قبل أن أختم ، وتذكيراً بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .. و تحذيره بـ: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، ومن جِماع حديث: { كل مضرٍّ أو مُسكرٍ حرام} :

أن أولّي وجهة (خاتمة) حديثي إلى مثلٍ معلوم مشهور نقول به، وقلما نطبّقه (حسياً): " الوقاية(٢) .. خير من العلاج"(٣).

وإليك مثالين، الأول عن: داء (السكّري)، حيث كتب أحد الاستشاريين – عنه- (وقايةً):

" إن الواجب علينا أن ننشر ثقافة الوقاية من خلال البُعد عن كل ما يسبب هذا الداء وأوّلها العودة إلى الله واللجوء إليه، وذلك

(*) .. وقد قامت (أمانة الرياض) حملة .. عن مسببات نقل الأمراض الناتجة عن استعمال أدوات الحلاقة (مثلاً).. ذات الاستعمال المتكرر.

وتهدف الحملة إلى الحد- بمشيئة الله – من انتشار أمراض الدم الفيروسية المعدية مثل : مرض نقص المناعة (الإيدز)، مرض الالتهاب الكبدي (بـ ج)، مرض الزهري، الالتهابات الجلدية، الجرب والقمل.

(٢) وإن كان الأولى الوقاية للدين: قال ابن شبرمه: - من فقهاء المالكية- :

(عجبت لمن يحتمي من الطيبات مخافة الداء، كيف لا يحتمي من المعاصي مخافة النار)!

(٣) بل ألحوا على هذا المعنى، بقولهم : (درهم وقاية خير من قنطار علاج)- مع ملحظ تقدم في هامش (٢) ص٢٤-

بدعائه وسؤاله الشفاء فالله تعالى يقول: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : ١٧].. والآية ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٨٠] ".

ثم- وهذا مكمن الشاهد- : لزوم عملية التغيير، تغيير النمط الذي نسير عليه في حياتنا، نمط الأكل ونمط الراحة والاسترخاء، فلو رأينا السلوك الغذائي لأبنائنا وبناتنا، نجد أن نسبة ٩٠٪ من أكلهم هي تلك الوجبات السريعة ويتخلل تلك الوجبات السريعة في أوقات فراغهم أنواع شتى من البطاطس المقلية المصنعة[١]، والإكثار من أكل السكريات والحلويات[٢]، ثم إذا بحثنا عن رياضاتهم المحببة لديهم والتي يمارسونها لوجدناها تلك الألعاب الالكترونية والتي تسمّى "بليستيشن"- التي تسبب الخمول وقلة الحركة مما ينتج عنه تراكم الدهنيات والزيوت وزيادة السمنة- ، أضف إلى ذلك ما تُسببه هذه الألعاب من توتر عصبي، وقلق نفسي .. إلخ! .. هذا مع إهمال الرياضة، وخصوصاً رياضة المشي والسباحة التي لها دور كبير في حرق الدهنيات وانتظام الدورة الدموية مع ما يُقابلهم.. من مشاكلهم الدنيوية والتي

(١) أي ذات المواد الحافظة .. و الخالية من كل مقومات الفائدة!

(٢) انظر كتاب (إحرص من القاتل الناعم: الكلسترول) — د. رمضان حافظ-

يبالغون في شأنها أشد المبالغة مما يكون له دور في حدوث مرض (السكّري).

إن خطورة المرض - مرض السكر[1] - يكمن بأنه: سببٌ لعدّة أمراض وعلى رأسها مُسبباته: في حدوث الجلطة الدماغية - عافانا الله وإياكم- ، وسبب للفشل الكلوي وربما قطع أو بتر شيء من الأعضاء، كما ذكر ذلك الأطباء في بحوثهم وندواتهم، ولا منجى من هذا – بعد عون الله والاعتصام به- : إلا بتظافر الجهود في نشر (ثقافة الصحة)[2] والوقاية، وثقافة الرياضة وخصوصاً رياضة المشي[3].

---

(١) (هل تعلم أن ٣٠٪ من السعوديين مصابون بأحد أمراض السكر – كما جاء في إحصائية طبية صدرت مؤخرا).، والأنكاء أن هذا الداء قد أودى بحياة مليوني شخص في العالم.. - فقط عام ٢٠٠٥م- !

(٢) كما صنع (قسم التوعية الصحية بمستشفى قوى الأمن).. بإقامة ندوة علمية – للنساء- عن مرض: السكري.

(٣) الذي يعدّ أبسط أنواع الرياضة- إذ لا يحتاج لمعدات ، ولا لمكان معين أو ميدان خاص به-

وبالمناسبة : فقد أحصت (وزارة الصحة) ١٨ فائدة للمشي لمدة ٣٠ دقيقة يومياً تشمل التقليل من مخاطر الإصابة (بمرض السكر)، والمساعدة على التحكم به والمحافظة على الوزن وتخفيفه والوقاية من أمراض القلب والسرطان وتخفيف ضغط الدم والوقاية من هشاشة العظام وأمراض المفاصل وتحسين نوعية النوم وخفض كوليسترول الدم وتأخير أمراض الشيخوخة وتقوية الذاكرة وتحسين اللياقة البدنية وتربية روح الالتزام والوقاية من السقوط بتقوية عضلات الساقين والشعور بالسعادة- .. فماذا تُريد أكثر من تلك المحاسن، لكي تعتاد (المشي).. وهو : لنفسك من قبل-

وأخيراً ما أجمل أن يسترشد (المسلم) بكلام الله وبهدي نبيه، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ [الأعراف : ٣١] وقد تقدم قول النبي ﷺ :{ ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه}"، كما عند الترمذي وحسنه.

والثاني: في الوعي، .. فعن السحر- (مثلاً) - قالت (د. جواهر آل الشيخ) عمن ابتلوا (به)، أنهم :

" تناسوا أن الله أعطاهم (الحل الشافي) دون ذلك التدهور النفسي[1] والجسدي.

فالإسلام علّمنا[2] (المعوذات القرآنية والورد اليومي والدعاء والاستعاذة) ، بل وجّهنا نحو (التغذية الصحيّة) السليمة، (والتعامل الأخلاقي) القويم اللذين يساهمان في معالجة الأرواح والأجساد دون اللجوء للمُدّعين أو الدجّالين أو المشعوذين والمشعوذات.

ثم .. نبّهت – حفظها الله- إلى/ أن التسرع في (تفسير) الأوهام والاتهامات يضر بالشخص نفسه قبل أن يضر المتهم، لأنه يُصاب

---

(١) .. لأن تهويل الشيء يجعل منه في (اللاشعور) أكبر من حجمه الطبيعي، ومع الاستمرار في هذا التخيل اللاشعوري فإنه قد ينتقل إلى (الشعور)- (العقل الواعي)- وهنا يكمن المرض! أمّا علاجه/ ألاّ تبالغ في هذا التخيل(*)، تفاءل انشط انطلق جداً على سجيتك، شارك في البهجة والنشاط.

(*) فقد تذهب بك (هذه..) إلى مقولة د. يوسف أدريس مطلع (ص١٦٥).

(٢) ولعل التذكير بجواب للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على سؤال عن: الوسواس أجدى.. حيث جاء فيه : (ادفع عنك الوساوس والخواطر الخبيثة واستعذ بالله منها وأكثر من ذكر الله وتلاوة القرآن ومخالطة الأخيار، وعالج نفسك عند دكتور الأمراض النفسية والعصبية، واتق الله ما استطعت والجأ إليه في كل ما أصابك ليكشف عنك الغمة، ويزيل ما بك من الكرب) .. وكافٍ.

(بوسواس قهري) [1] يعتقد معه أن كل كلمة تُقال لمدحه أو الإعجاب به أو رفع معنوياته إنما هي السلاح الذي يفتك بصحته وعقله، وأن أي مصيبة كُبرى تصيبه فإنما هي سُقيا السحر ونثره وعقده، أو الجان وتسلطهم.

.. بل ألقمت إدراكنا لما تقدم بمثالٍ حيّ - كنموذج - :

حدث أنّ إحدى النساء - هنا في مجتمعنا - تدهورت صحتها الجسدية والنفسية بشكل كبير ولم تُفكّر إلا في كونها (معيونة) ثم مع ازدياد المرض تأكدت وهماً أنها (مسحورة)، ثم أكد ذووها أنها مصابة (بمس من الجان) وذلك من خلال تضارب آراء المشعوذين والواهمين[2]، إلى أن اقترح عليهم أحد الأقرباء (الواعين) أن يكون الفيصل هو المستشفى والخضوع للتحاليل الطبية التي .. أثبتت فعلاً أنها

---

(١) .. علماً أن أحد أهم وسائل علاج الوسواس القهري (الحديثة) هي: ما يسمى بجلسات العلاج النفسي السلوكي، حيث يتم تدريب المريض على التوقف عن الإستجابة للأفكار الوسواسية وإيقاف الأفعال والسلوكيات القهرية المصاحبة لها شيئاً فشيئاً إلى أن تعود السيطرة له من جديد وتلاشى هذه الأفكار بإذن الله - فالأمر إذاً لا يقتصر على الأدوية وحدها لعلاج هذا المرض..-

(٢) ملحظ: أشار إليه أحد (الأطباء): إن المعرفة الواسعة وكثرة القراءة حول المرض قد تجلب لصاحبها التوتر. فهو على ما يبدو فيلسوف وطبيب (حكيم) في آن واحد، ولاسيماً حين أورد أحد الأطباء كلمة غريبة وجميلة، فقال : أحياناً (الجهل نور)! ثم أردف بلهجة مصرية محببة، بقوله : يا ليتني ما كنتش أعرف!! (فما أكثر ما أقولها وأرددها، وأنا الطبيب) .

.. ويحضرني بهذا المعنى مقولة لـ:" تشيكوف" (كلما ازدادت ثقافة المرء، ازداد بؤساً)! وأجلى من هذا معنىً جاء في الحديث: { لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً.. } الحديث.

مصابة بابتلاء (الغدة الدرقية) التي كادت أن تؤدي بها إلى مستشفى الأعصاب، لكن وبعد أن أخذت الجرعات العلاجية عادت إلى طبيعتها السوية بمنّة من الله.

ثم قالت: الوعي الديني والثقافي[1] والصحي الذي لابد من نشره بين الناس عبر وسائل الإعلام والتعليم والمدارس والجامعات هو المُنقذ للناس من أوبئتهم النفسية المعاصرة التي تفشّت فيهم بشكل واسع - مع الأسف!- ، رغم تأكدهم أن الدنيا جُبلت على الأكدار، لكنهم تناسوا : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة : ١٥٥]

. وختمت لا شلّ بنانها بـ : إن (بناء الشخصية المسلمة المعاصرة) يحتاج من الجميع لا سيّما الأطباء النفسيين وعُلماء الاجتماع وعلماء النفس والمربين والدعاة، أن ينتشلوها من براثن اليأس والقنوط- المُحرَّمين- .. إلى نور اليقين، والتسليم بأن الخير فيما اختاره الله، وأنّ طُرق الشفاء متعددة لعل أجداها دواء الإيمان، يليه علاج النور لا أوهام الظلام"أ. هـ.





(١) بخاصة ذاك المتزن (في الإدراك)، لا ذاك الذي يؤدي للتعليم السلبي: توهّم الداء.. حال اتفاق بعض بوادره لديك.

كيف يخف الهم(*):

اعلم أن (الاستغفار) أكبر طارد له للحديث: {من لزم[٢] الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب} رواه أحمد والنسائي والبيهقي والحاكم[٣].

.. ولا غرو في هذا، إذ كان حبيبنا ﷺ يستغفر الله في اليوم أكثر من مئة مرة، فلنتعلم هذا الأدب والتوقير للخالق سبحانه من هذا العظيم أدباً، أي : إذا كان هذا دأب وصنيع.. الذي (غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)[٤]، فكيف بالله.. بنا!، ألا يلزم علينا- ونحن المفرطون- أضعاف هذا؟

ولهذا ذكر د. طارق سويدان ، بعد قوله تعالى: ﴿عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ﴾ [البقرة : ١٩٨]" أن الاستغفار نوعان، الأول، استغفارٌ عن الذنب، والثاني الاستغفار عن التقصير على شكر الله على نعمه — كالصحة مثلاً- كما في الحديث { أفلا أكون عبداً شكور} "؟

(*) الهم: ما يعبّر عن الآتي ، فيما الحزن يكون على الماضي، .. كذا قال " خليفة اسماعيل ":

أنــوحُ أنــا نعــمْ إنــي أنــوحْ وفي قلــبي (همــومٌ) لا قــروحُ

(٢) وخذ هذه : قالت عائشة رضي الله عنها : (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً).

(٣) .. في (المستدرك) وضعفه الألباني - في السلسلة الضعيفة ٢/١٤٢-

(٤) .. كما وعد سبحانه ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح : ٢]

ثم .. مع تجلية لتخفيفه في قول (إبراهيم بن أدهم) –رحمه الله- فيما تقدم ص٢٢- أو.. فاصل في : (الأسباب[1] لتخفيف أي همّ، مع اليقين بأن الأعمال مخلوقة[2]: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات : ٩٦] ، التالي:

١) حمل هموم المسلمين، فإن في هذا رفعاً لهمّتك وسمّوا على جراحك الخاصة، فـ (لا شيء يُصيّرنا عُظماء مثل الألم العظيم) – كما قال أحمد أمين- .

٢) حمل هموم ذنوبك - وهو سبب للغفران – كما أقسم المولى بتلك: ﴿النَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة : ٢] .

بل إن في هذا (لذة) [3] لدى القلب المؤمن وذاك بـ: أن تصبح- بسببه – قريباً من الله تأنس به وتذكره وتستغفره ، وتعوذ به.. وملجؤك الدائمُ إليه.

٣- الإدراك أن (الهمّ) آتٍ: إما لتكفير ذنب، أو رفع درجة، وكلاهما لك (حسن).

---

(١) بعض زاوية (هذه) إستئناساً بقول للدكتور سعد الراشد – بتصرف-

(٢) ولهذا كان فعل الخير منك فضلاً من الله عليك ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ليونس : ٥٨] ، وللحديث {إلا أن يتغمّدني الله برحمته}.

(٣) قال أحد ذلك الصنف "إبراهيم بن أدهم": (إننا في نعيم لو علم به الملوك لجالدونا عليه).

٤- بقدر همّك فكر بهمّ: رِضى الله، .. وحديث: { من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه} يوضّح لك هذا.

٥- انظر إلى من هو أسفل منك، قال بعض الحكماء: (في الدنيا انظر لمن هو أسفل منك، وفي الآخرة انظر لمن هو أعلى منك).

.. وإذا عجزت عن حوز هذه المنقبة.. فانظر لمن مصائبهم جماعية، فلو قدّر الله وأُصبت بمصيبة فإن لديك من يُعاضدك، بخلاف من مُصابهم جماعي.. كمن أصيبوا بزلزال فكلٌّ عن همك.. وعونك .. بهمٍّ، لأن المصيبة قد حلّت بالجميع.

٦- انظر لتفاهة نفسك من ناحيتين، الأولى في العالم:

أنّه لن يقف التاريخ عندك!، عندها تهون عليك مصائبك - .. مع مآلك، فإنك: بالدنيا تُراب ابن تراب-

والأخرى من ناحية: الكون، فماذا تكون أنت بالنسبة لهذا الملكوت،قال ابن عباس ﷺ (ما السموات والأرض في يد الرحمن إلا كخردلة بيد أحدكم)- قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] .. الأيات- وبهذا يُفهم أبعاد الحديث: { لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ما}.

وعندها تعلو بك همّتك إلى النظر في (همّ) الأمة قاطبة[1] .. والتي هي اليوم بحالة، أو هالةٌ.. (لا تعلم مِن ماذا تئن!)- لكثرة جراحها.. وقروحها و قُل: (تكالب الأمم عليها)!-

(١).. وقد أوجز (ارسطو): على قدر همّتك تكون همومك!

٧- تذكّر لحظة وقوفك بين يدي الله، وكيف .. يكون الجواب، أي ابحث في زوايا نفسك وأعمالك: هل أعددت العدة للآخرة، والجواب الشافي الكافي ليوم (العرض الأكبر)..

و.. أمام حِساب في سجلٍّ ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[1] [الكهف : ٤٩]!

٨- اليقين (المطلق) أن الهم والغم والزعل وحتى الحزن و.. إلخ/ لا.. ولن يُزيل هذا (المصاب)، حتى وإن زَعَمت لك أهواؤك ذلك..

بل حتى أنّه على الأقل: ليس هو الحل له.

.. لكن مما يحلّها أو يعينك لبلوغ ذلك: التعقل والتعامل مع المعطيات والممكن.

أو مكمن علاجها[2] بـ (وهذا أقرب سبيل للخلاص منها) في نهج: التوسع في الفهم، مثلاً لا تضع (ملح) همومك أو معاناتك من الأشياء في "كوب" ماء حياتك، بل اسكبها في "بحيرة" من ماء حياتك.. لتخف ملوحتها حال ذوقك لها.

---

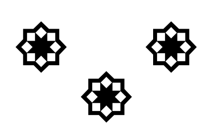
(١) .. ومن هذه أتى قول الفضيل بن عياض : " أقلق قلوب الصالحين، أنه بدأ- أي: الآية أعلاه- بالصغائر قبل الكبائر"!

(٢) وهنا.. فـ (لا يضق ذرعك بها)، فما هي .. إلا مخزون التجارب الذي تتكىء عليه في اتخاذ الموقف أو القرار الصائب لما يُناسب ما.. يواجهك.

لعل غيرك إن راك مرنما　　ترك الكآبة خلفهُ وترنّما

.. فنحن نستدعي المشاعر من خلال التفكير فيها.

ولهذا .. قيل : " خذ القدر بالرضى، والناس بالحذر، وأهلك باللين، وإخوتك بالتسامح، والدهر بانتظار تقلباته.. لتسلم أعصابك من التلف والانهيار".



أنواع المرض :

أو هو على خمسة دركات[1] - وهذا التقسيم اجتهاد مني، مما أرجو من الله صوابه- [2]:

الأول : طارىء - وهو ما يُشفى منه، كـ : (عملية الزائدة، أو قُرحة المعدة.. الخ)-

الثاني: المعتاد[3] - كـ : (الزكام أوّل الشتاء – أو من عدوىً- ، وكذا ما يعتري الرياضيين من شدّ عضل .. وما بقياسه)، كما .. وتُعدّ أمراض الشيخوخة[4] منه، والتي "غالبها" تأتي مع تقدّم العمر[1] كـ (عوارض) له، وكذا أوجز أحدهم .. حين سُئل:

(١) الدركة عكس (الدرجة)، وأقول بهذا لأن كل دركة أسواء من التي قبلها!

(٢) أدلى بقاعدة ذهبية.. للإمام الشافعي (رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب).

(٣) لذا وجب على من تعدى العقد، (الثالث) من عمره: أن يقوم بالكشف الدوري على عموم وظائف الجسد كالقلب والرئة والكبد ..
حتى إن كان هناك ما يحتاج، فيمكن تداركه.. والسيطرة عليه مبكراً - وقبل أن يستفحل لا قدر الله- . ولا يتعارض هذا مع (التوكّل) ، لأن ترك فعل السبب قدح في عقل العاقل!
أيضاً: لأن هناك أمراضاً متنوعة في هذا الحين، منها (الجلطة، الآم الركب، أسفل الظهر، القدمان، كثرة الهم، الكذب الزائد، الضغط) إلخ.

(٤) .. من نقصٍ في وظائف أجهزة الجسد! كما في اعتراف الآخر :

إن (الثمانين) وقد بلغتهـــا   قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وقد قيل : إن أغلب الناس تبدأ لديه الشكوى من أحد المفاصل عند الخمسين، بينما يعاني الكل تقريباً ممن تخطّوا الـ ٦٥ عاماً.. من آلام المفاصل.

قالوا أنينك طول الليل يُقلقنا　　　فما الذي تشتكي؟، قلت (الثمانينا)

وقد ذكر (البيضاوي) في تفسيره: أن ملك الموت قال ليعقوب عليه السلام: (بياض الشعر وانحناء الظهر[٢] وسقوط الأسنان.. هذه رُسلي إلى الناس).

.. قال "عبدالله الشنيتري":

يا من يصيح إلى داعي الشفاء، وقد　　　نادى به الناعيان: الشيب والكِبر

الثالث: ما قد تستطيع أن تتواءم معه[٣]، أو تغلبه وتُغالبه، .. حين تأطر نفسك على تدليله كـ (السكّر).. مثلاً، ومنه ما قُدر عليها كـ (الفشل الكلوي)، وتلك المستعصية[٤] كـ: (السرطان) - حفظنا الله وإياكم: من كل داء وبلاء-

لكن علينا أن نُنبه إلى أن مسألة التعوّد لها شكلان/ الأول موجب كما تقدم ، والآخر سالب، والذي (قد).. تُمسي- بتكرار

(١) .. ولهذا نصح التابعي " سفيان الثوري - رحمه الله – لكل: (من بلغ سن رسول الله ﷺ، فليتخذ لنفسه كفناً).

(٢) .. وخذ هذه: يشبّه (ابن الرهان) الإنحناء من الشيخوخة، بقوله :

فصرت، الآن منحنيا كأنـــي　　　أفتّش في التراب عن شبابـــي

(٣) كما في بعض الأمراض الوراثية، بل وهناك ما يروح ويغدو على الجسد كـ (فقر الدم) ..

(٤) هناك من الأمراض المستعصية اليوم مما لم يستقص [*] حِيالها العلم - مع أنه سبر.. غورها- ليُقدّم العلاج منها، مع أن الوقاية منها قريبة ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ - ، وهناك أُخرى حاول الطب، لكن لم يقدم الناجع.. الناجي من براثينها كـ (السكري، والسرطان) وهذا الأخير.. هو الذي قدم له - من تجربة – (د. عبد الرحمن الرشيد) فيما تقدم ص ١٣٣ وما بعدها.

(*) كما في الحديث : { ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء، علمه من علمه وجهله عن جهله}.

نوباتها- إلى حالة التعوّدٍ عليها، فيألفها أو يتآلف معها فتموت فيه بواعث المعالجة (حتى) من مسببات هذا الألم الذي يجد بتعود المرء عليه أو إهماله/ فرصة له سانحة ليستشري، ويُحدث أضراراً ومضاعفات كثيرة لا ينتبه لها المرء إلا بعد أن تتمكن منه .. أو تكون على وشك القضاء عليه.

وهذا ما لا يُحمد، بل يجب مراقبته- إن لم يُمكن علاجه -

وهُنا أُلفت من حوله[1] - أي لمن لديه عليلُ كهذا - أن يصبر ويحتسب، وليعلم أن في تاريخنا صور تكاد تكون ضرباً من الخيال تصديقها أو قبول سردها.. لما حملت من تضحيات - إثر مرابطة (ملازمة) عجيبة- ، وهاك صورة.. أو من عجيب ما يروى بهذا :

" أن رجلا أُصيبت أمراءته بـ (الجُدري) فادّعى[2] العمى طول عشرين سنة، حتى توفيت"!

لكن.. أو إشكالية يقع بها صنف عريضٌ من أولئك..، حين ينظر إلى الجانب القاتم من المرض، كـ: (الرحيل، والوداع، ومفارقة الأليف بها) .. وتذكّر القبر[3] وظلمته و.. وحشته..

(١) فمُصاحب (المريض) هو: مريض — كما يقال، أو كما تقدم/ ص ١٢٨-

(٢) حتى لا يُشعرها، أو يحزّ في نفسها على ما ابتليت به ..

(٣) وهذه (لوحدها) بلا شك كافية! فإني لأحسب أن قمة الصبر حال معرفة المبتلى.. أن (داءه) قاضٍ عليه لا محالة! كما قال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصافات : ١٠٦]

.. ولئن كان العذر بادياً ، .. أو مقبولاً ، كما في قولهم: (لا يرى الجائع من الشجرة إلا الثمرة)!. ، فإن العذل لا يقف إن نسي - في ثنايا هذا - : أنها كـ (هبة) [1]: للتنظيف من الآثام والاستعداد للقاء الديّان[2]. ومجال كرمٍ– أسداه[3] إليه المنان- : إيمائة من قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة : ١٨٠] أي : أسبابه، كالمرض المشرف على الهلاك[4]- كما قال السعدي- ليرتب حاله لما بعد

(١) لا غرو أن يقول أحد أهل الحكم: (استقبال الموت خير من استدباره) – أي : في الاستعداد له- ، قال الشاعر :

سلكت طريق الحب حتى إذا انتهى(*) تعوّضت حب الله عن حــب غــيره

- (*) .. والضمير يعود : للعمر-

(٢) مرض أعرابي فقيل له : إنك تموت، قال : وإذا مت إلى أين أذهب؟ قالوا إلى الله، قال: (فما كراهتي أن أذهب إلى من لم أر الخير إلا منه).

(٣) قال الرازي :

امنن عليّ بتوبة تمحو بهــا ... مـا كان مني في الزمـان الأول

(٤) و(حضور الموت) أيْ: أماراته، أجل، فإن للموت علامات تسبق بلوغه.. في الغالب. مع ما تقدم – مطلع ص١٦٠- أما من العلامات الأخرى فهي التالي:

أ- وفاة غالب لداته- .. ممن ولد في نفس عام مولده، أو مقارب للعمر- وهنا قد تعنيه الموعظة المشهورة (إن الموت قد تخطاكم لغيركم، وسوف يتخطّى غيركم إليكم)، قال حافظ إبراهيم.. عن فراق أصحابه:

(أنا) منذو بانوا و ولّى عهدهم ... حاضر اللوعة موصول الخيب

ب- وكذا مضى عهده: قال أبو العتاهية:

إذا مضى القرن الذي أنت فيه ... وخلفت في قرن فأنت غريبُ

ج- أو.. في قدوم ولد الولد، فـ :

إذا الرجال ولدت أولادهـــا.. ... وكثـــر (من مرضٍ) عوّادهـــا =

أفوله، في شأن المال والأبناء، وإن كان عليه دين أو لديه (وصية).. فعليه تجهيزها ..

كما .. وفيه منّة أيضاً: في التحلل ممن طالهم منه شيء (أسبابه): دوافع الدنيا وشهواتها، وغلبتها للنفس.

بل إني أعلم عن نماذج ممن صنعوا ذلك[1]، كمقام الخال (سليمان الجربوع)، و (د. عبد العزيز الزامل)، وآخرهم (عبدالله العجلان) عليهم شآبيب الرحمة جميعاً.

الرابع: ما يُرى فيه علامات الموت، .. والذي يُقرّبه للفهم قوله ﷺ :

{ مَن عاد مريضاً **لم يحضرهُ أجلُه**[2]، فيقول سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عُوفيَ}رواه الترمذي عن ابن عباس.

= د- .. أو حين يعتاد جسده الأوصاب والأمراض..
هـ- وهناك إشارة أيضاً في: كثرة الرؤى التي تعني أو يصبّ استقراؤها: بدنو الأجل.

(١) وأمثلة لهم (موقنةً) .. بقدوم الأجل .. تندّ عن الحصر.

(٢) وهذا يُجلّي عن معنىً آخر : أن ما كل (داء) – مهما عظم أو استعصى علاجه.. – بـ(مُميتْ) .. فـ :

كـــم من عليل تخطاه الـرّدى ... ونجـــى، ومات طبيبه والعـوّدُ

.. ومن هذا يشبّه الموت أبو الَطيب بـ :

وما الموتُ إلا سارق دق شخصُه ... يصول بلا كفٍ، ويسعى بلا رجل =

قال الشاعر (محمد المشعان) - رحمه الله - يُخاطب روحه، .. من وجهٍ شاحب، وجسدٍ أنهكه المرض:

وقـف الطـبّ حـائراً.. والطبيـب حينمـا أزمعـتِ وحـان الغـروب

وابن سينا حين أشرفت قوّته على السقوط أهمل المداواة وقال: "المدبر الذي في بدني قد عجز عن تدبيره، فلا تنفعني[1] المعالجة"..

ثم اغتسل وتاب، وتصدق بما معه من مال على الفقراء، ورد المظالم على من عرفه، وأعتق مماليكه، وجعل يختم القرآن الكريم كل ثلاثة أيام.. ولم يطل به الوقت، ومات في رمضان سنة ٤٢٨هـ، - فهذا: ذكاؤه وعلمه في الطب لم ينفعه، وهذا موضع الشاهد-

الخامس: النفسي (غير عضوي)، كـ (الزهايمر) - أي :فقدان الذاكرة-

وغالبه ليس له عوارض بالجسد، لكنه آتٍ بالأصل من (توهّم) من كثرة ما يُفكّر به[1].

= أي : بالسارق لكن (دق) شخصه — أي أو دقيقٌ.. حتى كأنه لا يُرى له جسد - .. فهو يصول بلا كف يُظهرها، ويسعى بدون رجل ينقلها .. باختصار : لا سبيل إلى الاحتراس منه، وصدق الشاعر:

أخلاي.. لو غير الحِمام أصابكم عتبتُ، ولكن ما على الموت مُعتبُ

(١) أي : حين شعر بدنوّ أجله.

وفي أحد قصص الراحل (د. يوسف إدريس) وفي سياقٍ تجريديٍّ يغلب عليه الرمز، حكاية عن رجل ذهب إلى فراشه لينام، وأمضى وقتاً طويلاً هناك.. يعتريه الكسل والخمول، حتى بدأت أعضاؤه تندمج مع مادة السرير، وتتحول إلى جزء منه، وفي النهاية تحول الفراش نفسه إلى نعش له، فلم يغادره إلا إلى القبر! قال الطغرائي :

رويـدك .. فـالهموم لهـا رتـاج　　　وعـن كثـب يكـون لهـا انفـراج

ألم تـر أن طـول الليـل لمـا　　　تنـاهى، حـان للصـبح انـبلاج-

وبهذا قال إبراهيم طوقان :

لكـن توهّمـت السِّقـام　　　فأسقـم الوهـم البـدن

(١) أجل .. فالوهم أعظم داء!.. جاء في التراث : أو تروي العرب (أن الوباء لقي قافلة وهو في طريقه إلى بغداد، فسأله شيخها.. وفيم أتيت مسرعاً إلى بغداد، قال : لأحصد ألف نفسٍ من أهلها، فلما رجع الوباء من بغداد لقي القافلة مرة أخرى، فقال له الشيخ ساخطاً: إنك خدعتني فقد حصدت خمسة آلاف بدلاً من ألف ، فقال الوباء: كلا لم أحصد سوى ألف نسمة والباقون قتلهم الخوف- الوهمي – فهلكوا).

.. لأن (التوهّم) الإصابة بالأمراض- خصوصاً- بالغة الخطورة أو المزمنة.

هو إحدى الحالات النفسية المعروفة، والتي يُطلق عليها طبّياً المصطلح الآتي Hypo-chondriasis ، وقد نصح أحد الأطباء أحدهم بـ : فإذا كان الأمر كما ذكرت من أن صديقك قد قام بكل الفحوصات الطبية اللازمة، والتي أكدت سلامته، ولله الحمد، فأرى أنه من المناسب له الآن زيارة أحد الأطباء النفسيين، وقد لا يتطلب الأمر سوى نوع من التدعيم النفسي الاحترافي والتطمين، ليعود إلى وضعه الطبيعي بإذن الله تعالى.

ماذا تفكر الآن .. إن كنت سعيداً فسوف تشعر بالسعادة، وإن كنت غير ذلك فهو كذلك[1]..

حتى قال الرازي : (قُل لي ما حِلْمك، أقل لك ما مرضك)!.

بل إن هناك علاقة بينهما - أيِ المرض العضوي والنفسي – ولعل من النفسي : ضيقة الصدر - مثلاً- ، وهي (الكآبة).[2]

فالمرض النفسي آتٍ من تراكمات[3] في منطقة (اللاشعور)، وعند تضخم اللاشعور بهذه التراكمات يبرز المرض.

---

(١) .. وماذا عن بقية حياتك؟ هل تريد السعادة أم الشقاء؟ أي المقصد: يعود الجواب عنه لحالتك، وما قد تمليه عليك من تأثير: سلبي أو إيجابي.

(٢) والجدير بالذكر أنه قد قد يكون وراثياً، أو مكتسباً.

ومن أسباب (الكآبة): أثار اللّمز التي تبلغ المرء من كلام الناس ، قال (أبو الطيب) عن تلكم: **ومن ذا يحمد الداء العضال –**

والعضال.. من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة : ٢٣٢]

أي: التضييق، و(الضيقة) عن العلاج وتجاوزه حد الأدواء..

(٣) .. وأهم علاج لها : (التواضع ورد الحقوق والشهامة والصدق والعدل والحلال الطيب مع دوام الدعاء)- د. صالح اللحيدان - ، وأوضح بموضع آخر:

فـ (قد يسلط الله بعدله على المسيء: كثرة المال وكثرة الولد وشدة الحذر ومن المعلوم حسب التجارب أن المسيء قد يستمرئ الإساءة لكن بسعة بال، ومن هنا قد يسلط الله عليه طول العمر فيأخذه بالاختلافات والأمراض)، .. ومع هامش (٤) ص٤٢/ أذكر مقولة أحمد بن أبي دؤاد – الذي تزعم فتنة خلق القرآن- (قد علمت أن الله لن يدعني، وما كثرة مالي وكثرة ولدي إلا من العذاب)- انظر كتاب المظالم لابن أبي الدنيا، والجواب الكافي لابن قيم الجوزية.. وأمثالها من/ العِبر:

أن للإساءة أثراً بالغاً في نفسية وحياة المسيء، ولو ملك المال والولد والقوة!

أيضاً: الأوبئة العامة - كالأعاصير، أو الأمراض الشائعة - والتي لا يرفعها (بإذن الله) إلا التوبة الصادقة[1]، لحديث : { ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رُفع إلا بتوبة}.

.. **فإن كان** من الأول، أو الثاني- أي ذلك الـ: (طارىءُ).. آت كنوع اعتيادي للعمر، وتذكير بنعمة (الصحة) و.. التي هي الـ (تاج)، وفرصة لمراجعة النفس.

وإن كان من النوع (الثالث) .. فهو أحسن مما هو أسوأ منه - كما في قول تقدم لعمر ﷺ- مع التسليم للقائل سبحانه: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾[الزخرف٣٢] خيرُ عزاء للمؤمن، فـ : (لاراد لقضائه)، ويتبعهُ الرضا والتسليم للقضاء.. للحديث: { واعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك..}أخرجه أبو داود.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ، للأشعث بن قيس : (إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور)[2].

---

(١) كما أنبأ الله تعالى عن أصحاب الجنة .. حين ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ (*) أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم : ٢٨] جاء في تفسير (السعدي) ص٨٨٠:
أي تنزّهون الله عما لا يليق به ، ومن ذلك ظنكم أن قُدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتم فقلتم إن شاءَ الله وجعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئته لما جرى عليكم ما جرى، فقالوا ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم : ٢٩] - أي : عادوا عما قطعوا بقولهم: ﴿لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ [القلم : ٢٤]
- (*) و (أوسطهم) أي : أعدلهم طريقة-

(٢) وكما تقدم في قول الشاعر:

وتيقّن أن المُقـدّر كائـن حتما عليك، صبرت أم لم تصبر

.. وعلى صاحبه ليجتاز آلامه المعنوية[1]:

زيارة : دُور العناية (النفسية) أو (العقلية) ، ليرى الفارق، فيحمد الله ويشكره على أن ما حاشاه أهون كثيراً مما أصابهم!، بل إن من المقاصد- الشرعية- لزيارة المريض تذكّر نعمة الصحة، كما أتى معنى سياق الحديث - تزهيداً عن الدنيا- (.. مع ما تقدم ص ٥٤):

{ انظروا لمن هو أسفل منكم، ولا تنظروا لمن هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزردوا نعمة الله عليكم}.

وفيما معناه يقول ابن تيمية - رحمه الله - : (التذكّر والنظر إلى من هو أسفل منك في الدنيا)، .. وألفت العلامة عبد الرحمن السعدي- رحمه الله- : أحد جوانب الرضى بـ : " مقابلة المكاره بالنعم" [2].

ومن جهة أخرى.. فقدان بعض النِعِّم – ويملكها الآخر- ، ما قد يجعل التنافس سيّد الموقف.. ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾؟ [الفرقان : ٢٠] ، هنا محكّ الابتلاء! فهذا أو بهذه الحالة.. تكون[3] الفتنة!

(١) مع النظر فيما قربنا: ختام ص (٤٩) و ص(٥٠).

(٢) .. أي كما يتحسر المرء على ما يفقده من نِعم يراها لدى الآخرين! عليه أن ينظر إلى النعم التي يملكها وهم يفقدونها..،هكذا نفهم الحديث الذي سبق.

أيضاً.. من التعليل بأن : (لا يقلل من قدر أو قيمة نِعم الله عليه!).

(٣) .. وهذه (بالمناسبة) حال الكثير، لأن – تعليلاً- الناس يشتركون في كثير من الأمور الحياتية والمعيشية والعلمية والوظيفية والأسرية.. إلخ.

نعود لقياسٍ مقرّب.. لنِعم اللّه، وهو مبنيٌّ على قاعدة – من حديث: { ارض بما قسم اللّه لك، تكن أسعد الناس}.

.. وهو تعليلٍ بسطه أحد الوعاظ:

" لو قُلنا أن لكل إنسان (٢٤) قيراطاً، لوجدت أن كلاًّ منهم قد أخذها كاملة، فإما تجدها أولاد (٨) صحة(١٠) و (٦) مال، أو تجدها لدى الأخر (١٤) مال و(١٠) صحة - بدون أولاد- ، أو (٨) مال (٨) صحة (٨) علم، و بدون أولاد" ..

وهذه ليست نظرية ، لكنها (ربما) إشارة من قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى : ٥٠]، بل ذُكر لي عن إمراءة قاربت الثمانين من عمرها ولم تشتكي يوماً (ألماً جسدياً).. ومع هذا.. هي (عقيم)!

ومرام آخر لمقصدنا: فأهل الخِبرة – بالحياة – دائماً ما يدعون بالستر، والستر هذا.. ما ذهب لتعريفه (د. مصطفى محمود) بإلمامة جميلة: " القليل من كل شيء[1] " – لأن الإكثار من شيء ما.. آتٍ (أو عِوض) على حساب شيء آخر!-

.. ثم .. ومع كل هذا أو بعده، فالأمل باللّه/ بأن لا يجعل لليأس مدخلاً عليه:

---

(١) أكيد فلن يرضى المرء بكنوز الدنيا مقابل أن يكون عقيماً، وكذلك لا يحفل الفقير بكثرة الولد.. حال الفاقة.. وقلة ذات اليد.

إذا غرقــــــت ببحــــــر مــــن الــــرَّدى[1] فيـــاض
فــــلا يكـــن بهـــلاكٍ عليــــك ظنّـــك قـــاض
فلــــيس في كـــل وقـــت ســـيف المنيـــّة مـــاض

أو حالة تبلغ بصاحبها تمنّي الموت، كما قال المتنبي :

كفى بك داء أن تـرى المـوت شـافياً – وحسب المنايا أن يكـنّ أمانيـا[2] !–

والقرآن يحثـّنا بـ : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾ [الأنعام : ٤٣] أي : دعوا ولجأوا وأبدوا حاجتهم إلى من بيده كشف البلوى (سبحانه)، ولا يسلّم لليأس، أو يبلغ ببعضهم مبلغاً عظيماً، .. فتجد الواحد منهم قد ضعف صبره وكثر جزعه وعظم تسخطه وانفرد به الشيطان يوسوس له ويذكّره بالمعاصي الماضية حتى يؤيِّسَه من روح الله ويوقعه في القنوط، يقول الله: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [المجادلة : ١٠]

وقد سُئل فضيلة الشيخ (محمد بن حسن آل الشيخ) :

عن (شخصٍ) مُصاب بمرض مزمن، ويتمنى أن يموت، ودائماً ما يدعو بذلك، فما حكم الشرع في ذلك؟

---

(١) أي : الموت - .. وهل أكثر يأساً منه؟!-

(٢) و.. تجاوزاً، قال شاعر النيل (حافظ إبراهيم) :

سلام على الدنيا سلام مُودّعٍ رأى في ظلام القبر أُنسا ومغنما

فأجاب: " لا يجوز للمسلم أن يتمنى الموت لضر نزل به، فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك في قوله : { لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنياً فليقل[1] اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي} متفق عليه".

هذا بالأمر المادي (الجسدي)، أما الأشدّ إن كانت الشكوى حال الأمر (المعنوي)،. أي يكون التعبير عن تمني الموت كناية[2] - فقط- عن حالٍ وصفها الحديث:

{ .. يصبح الحليم حيران[3]}، لانقلاب الموازين، كما قال الشافعي رحمه الله:

تموت الأُسد في الغابات جوعاً ولحم الضأن تأكله الكلاب

وعبد قد ينام على حرير وذو نسبٍ مفارشه التراب

وأحسن من ذلك كله قوله تعالى : ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء : ٧٩] .

ويقرب مرمى هذا الحال (المعري) بقوله:

---

(١) أي يجعل الخيرة- في حاله – لِلهِ.. وحده، مسلماً له الأمر.

(٢) مع الأسف هناك مثل يُتداول في بعض الأقطار: (عايشين.. من قلّ الموت)!

(٣) .. أي عهدٌ جاء عنه في الأثر: (يؤتمن به الخائن ويصدّق به الكاذب)!

قال عبد الوهاب المالكي:

وإن ترفّع الوضعاء يوماً على الرُّفعاء.. من أحد الرزايا

وعلي الطنطاوي- من أعلام عصرنا- يقول: " الحياة مثل اللجة، يطفو فيها الفارغ ويرتفع، وينزل الممتلىء ويغوص".

إذا وصف الطائيَّ بالبخل (ما درُ) وعيّــر قســاً بالفهاهــة (باقــلُ)
.. فيا موت (زُر) إن الحياة ذميمة ويـا نفـس جِـدّي إن دهـرك هـازلُ

.. وعند بلوغ الحكيم (الحليم) هذا المآل المقلوب! فقد يُقبل.. من باب (التضجّر) عما آل إليه الواقع أو التنفيس فحسب[1]!

ثم .. والواجب على المسلم أن يصبر على المصائب ويحتسب الأجر عند الله، وينتظر الفرج منه سبحانه، فإن في ذلك الخير العميم والأجر العظيم، قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ[2] وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[3] [سورة البقرة ١٥٥- ١٥٧]".

خصوصاً لمن يحتسب[4] على الله بعدم الشكوى.. كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾، أي (ذاك الذي ليس فيه أو معه

---

(١) وقد استقصيت هذا الأمر بأحد النقاط- في كتابي: (أفكار تستحق الإبحار) بعنوان: الزمن الأخسّ!

(٢) أي : أنك كلك حياتك وشأنك .. وما أمضاه القدر فيك/ لِلهِ ومنه، فإن المالك مهما تصرّف فيما يملك فلا لوم عليه- ولِلهِ المثل الأعلى-

(٣) فيا أيها المُبتلى: هل أعظم من أن تنال صلاة ربك عليك ورحمته، وتكون من (المهتدين) .. تحوزها فقط حال الصبر والتسليم: (تزكية من ربك).

(٤) للحديث { ما لعبدي المؤمن إذا قبضت صفيه من : أهل الدنيا " **ثم احتسبه** " جزاء إلا الجنة}- أي: اشترط الحديث: الاحتساب، لبلوغ الجزاء عليه-

شكوى) ، فما الشكوى غالباً إلا : (فضح المرء حاله، وكشفٌ عمَّا سُتر من أحواله)! – لأنها لا .. ولن تجدي[1]- ، فـ :

(قلبك وعاء سرّك، ولسانك مفتاح محفظته)، ومن هنا قال " فرانكلين": (اخفِ همومك فالذين ستكشفها لهم لن يعملوا إلا على مضاعفتها).

ثم.. وإليك – (رافداً) في مثالين في هذا النوع من الصبر/ الأول: في تلك الصحابية الجليلة التي ذكر عنها الصحابي.. "عطاء بن أبي رباح" رضي الله عنه :

(قال لي عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما- : ألا أُريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت : بلى، قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت : أني أُصرع وأني أتكشّف، فادع الله تعالى لي، قال : {إن شئت صبرت ولكِ الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيكِ} ، فقالت : أصبر، .. ولكني أتكشف، فادع الله الا أتكشّف، فدعا لها)، متفق عليه.

والثاني/ ما ذُكر عن أحد الصالحين حين كُشف لمن حوله عن جُرح غائر بقدمه، فعلموا أنه يشتكي منه منذ أربعين سنة، ولم يُدرِ به[1]...

(١) قال التهامي – في رثاء ابنه – مخاطباً عينيه: **(بكائكما يُشفي ، وإن كان لا يُجدي)!**

– أي : لن تُعيد دموعكما (مهما سكبتا): ابني للحياة.. -

وخفّف عني ما ألاقي من العنا بأنّك أنتَ المبتلي والمقدِّرُ
وما لا مرئٍ عما قضى الله معدِلُ وليس لهُ منه الذي يتخيَّرُ

وإيجازُ (ما تقدم) — وقد أطلت — بـ :

١- التسليم للمقدر سبحانه: ولقدره رضاءً، وإيماناً.. واحتساباً.

٢- الدعاء لكشف البلوى.

٣- حُسن الظن بمن يملك الأمور ومقاديرها سبحانه- فـ :

ما بين غمضة عين وانتباهها يُغيّر الله من حال إلى حال-

٤- تذكّر مَن حالهم أشدُّ منك، فإن في ذاك غزير العزاء .

٥- العدل مع المولى، فكم أحسن لك سلفاً، وعافاك حِقباً.

وإن كان من النوع (الرابع) فهي نعمة جليلة.. مِن الله عليك، لجمع حسابك وترتيبٌ لما بعد أُفولك، لإعداد أو كتابة (الوصية) وتنظيف الخلال، فإنه لو قيل لأي إنسان كم تدفع لتعلم عن بوادر أو علامات قرب

---

(١) بل حديثاً أو مثالاً شاخصاً: ما حدثتني به أختي عائشة عن زوجة الوالد (رقية) يرحمها الله، قولها في آخر حياتها حين ألزمها الطبيب إخباره عما في جسدها من أعطاب .. قالت (إن عيني اليمنى لا أرى بها منذ عشرين سنة)، ثم أكّدت على أختي عدم إخبار أحدٍ لأنها ما أفشت بهذا إلا بعد إلحاح الطبيب، لكن أختي آثرت وبعد وفاتها.. إعلامنا بهذه المنقبة: للعِظة وتعلّم الصبر.

موتك – كي تستطيع أن ترتب لذاك المآل.. قبل حلوله، أو قرب قدومه إليك- ؟

أنا أجزم أنّه.. ولربما ضحّى أقل شيء: بربع ما يملك لكي يستشف أو يُكشف له ذلك المستور.

لكن هل هناك فارق – كبير- بين هذا المطلب.. والألم المزمن، أو قُل ذلك الذي يُرى فيه علامات الموت!

وقد نصح ابن الجوزي: في " صيد الخاطر " - ولمن هم بأيسر من هذا الحال- :

(إن المرء.. إذا جاوز " السبعين".. جعل الغالب عليه ذكر الآخرة والتهيؤ للرحيل، فيوفّر نفسه، .. إلا من تعليمٍ يحتسبه أو تصنيف يفتقر إليه، فذلك أشرف العُدّة للآخرة..).

وهاك إشارة جليلة، قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾[النصر : ١- ٣] أي أتمم حياتك – وقد أتاك إشارة دنو الأجل[١]- بكثرة التسبيح، واختمها بالاستغفار لربك.. لتلقاه على ما يحبه، وتفوز بحسن الخاتمة.. بإذن الله.

ثم.. ليُكثر من الدعاء وقد أزف الرحيل ، هكذا دلّنا حبيبنا ﷺ: { اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى} رواه البخاري، .. فإنه

(١) كما قال ابن عباس عن هذه السورة: هذا نعي رسول الله.

أبداً لا خوف على النفس التقية – بإذن الله –: ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٩]

بل.. لأن الدنيا عموماً: حتى وبدون المرض، هي أوصاب[1] و.. ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد : ٤] .. ويدل على ذلك الحديث القدسي.. مخاطباً رب العزة والجلال جنته : { يُوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة والأذى ويصيروا إليك} فالموت (هنا) – أو عندها – هو: راحة المؤمن.

وما ألطف قول بعضهم :

بنـــى الله للأحبـــاب بيتـــاً سمـــاؤه ... همـومٌ وأحـزانٌ[2] وحيطانـه الضـرُّ

وأدخلـــهم فيـــه وأغلـــق بابـــه ... وقـال لهـم: مفتـاح بـابكم الصَّـبْرُ

بل ويحمده تعالى على أن بلغ ما يصبو، أي : الالتفات بحقٍّ إلى آخرته[3]، ولعل في الحديث : { أعذر الله امرأً أبلغه الستين من عمره} كافياً و(وافياً).. لشرح هذا، فـ : **لِلَّـــهِ درّ الشيـــب مـــن واعـــظٍ!**

---

(١) (إنما يحصل الكمال بنوال المطلوب، وزوال المكروه، أو ينجو من المرهوب وينال المطلوب)!– وأنّى لهذه الدنيا الدنيئة .. هذا: المقام؟!–

(٢) ويقول آخر :

أحزان قلبي لا تـــــزول ... حتـــى أُبشّر بالقبـــول

وأرى كتابــــي باليمـــين ... وتُقـــرّ عيني بالرســـول

– .. صلى الله عليه وسلم –

(٣) وهنا نبّه أهل العلم أنه/ لا يدعى لأحد بطول العمر إلا مقيداً (مثلاً) بالقول: على عمل صالح– للحديث { خيركم من طال عمره وحسن عمله}– وهذا.. ما كان شيخنا ابن عثيمين رحمه الله يؤكد عليه–

.. حتى قال البهاء زهير - تعليلاً - :

أتريد في السبعين ما قد كنت في العشرين فاعل

لأن أحد أهمّ آلتي **العيش : صحة وشباب** - كما يقول أبو الطيب -

وليُعلم أنه إذا (حضر الأجل) ، فلا يفيد معه الحكيم.. ولا دواؤه! ، قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الواقعة : ٨٧]

.. - وقد تقدم تساؤل الشاعر بـ :

قُل للطبيب تخطفته يد (الردى)[1] من يا طبيبُ بطبّه أرداكا-

كما .. وعند التحقق من قُرب الأجل فإنه يلزم[2] المؤمن حُسن الظن بمقدمه على ربّه، كما قال ﷺ : { لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظنَّ[3] بالله عز وجلَّ} رواه مسلم، وقد بشّرنا جلّ وعلا: ﴿ فَمَن تَبِعَ

(١) أي : الموت، وقال آخر :

ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان أبرأ مثله فيما مضى
مات المداوي والمداوى والذي جلب الدواء، أو باعه ومن اشترى

(٢) .. مع تقديم العذر والاطراح بين يدي ربك فهو : ﴿ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ [الأنعام : ١٤٧]، للحديث: { الندم توبة}.

(٣) لأن سوء الظن مهلك! =

هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[البقرة٣٨]، ألا.. فاتبع هدى الله فـ ﴿ هُوَ الْهُدَى ﴾[البقرة١٢٠] .. حتى لا تخاف من الآتي ولا تحزن على الفائت.

أما خلاف هذا الحال! - أي (الرابع) - ألا .. فقل: بما ذُكر عن علامات القيامة- وكلها علامات مهولة - .. ما رُوي عن علي[1] رضي الله عنه قوله:

(من علامات القيامة، كثرة موت الفُجاءة)! - أو كما قال - .. وللتقريب: كم يُفجع الناس لخبر سريع : في موت (عزيز) بسببٍ مُفاجىء كحادث سيارة أو سقوط طائرة .. مثلاً ! ، فإن في هذا جليل الاعتبار/

يا راقد الليل مسروراً بأوّله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا[2]

بل .. قيل : كم من يافعٍ (**أكفانه تُنسج بالغيب وهو لا يدري**)!

وإن كان من النوع (الخامس) فعلى من ابتلي به، كثرة الذكر والحفاظ على الأوراد، في كل وقت - بخاصة المعوّذتين- ، فليس له (علاج) بإذن الله سوى هذا ، وإلا .. فلن نعدو قول الشاعر :

= فإحسان الظن/ يجمع أن ربه جواد وأنه كريم.. مع التوبة النصوح- فهو يتوب على عباده إذا تابوا إليه- وأن فضله عظيم، فيحسن ظنه بربه، لكنه يبسط هذا (تقرّباً) بالعمل الصالح – قال أحد السلف : (رجاءوك لرحمة من تعصيه من الحمق)- ، أيضاً التوبة الصادقة (النصوح)-

(١) .. ولا غرو، إذ كان رضي الله عنه يتدفّق عنه علم لم يدركه أهل زمانه، قال في وصفه (ضرار الصدائي) - رحمه الله- : "كان يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه.. الخ"، كتاب : (الأمالي) لأبي علي القالي - ص٤٠٠-

(٢) وكانت عائشة رضي الله عنها كثيراً ما تتمثّل بهذا (البيت)!

من غصَّ داوى بشرب الماء غصّته فكيف يفعل من قد غصّ بالماء؟!

.. شكا خالد بن الوليد ﷺ النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : ما أنام الليل من الأرق!، فقال له ﷺ: { إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم رب السموات السبع وما أظلّت ، وربّ الأرضين وما أقلّت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لي جاراً من شر خلقك جميعاً، أن يفرط[1]علي أحد، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله أنت} رواه الترمذي.

ولعل أقرب وسيلة للتخلّص منه[2].. العمل، حتى يطرحك.. فتنام، وإليك مثالاً فيما يعلّمونه الناشئة:

(بحث المرضُ عن النشط فقيل له : ذهب للمدرسة، فذهب إليه هناك فقيل ذهب للحقل، فذهب إليه في الحقل، فقيل ذهب ليمارس رياضته .. فجلس المرض لاهثاً.. وعاجزاً عن أن يلحق به) .

ولعل - بتجربة يسيرة- أُقرب للمرء كيف (الصبر) عن مشاءٍ طالما طلبتها (نفسه الأمارة بالسوء) [3] حتى وإن كانت تُغالبه بـ (الكسل):

---

(١) أي يتعجل عليَّ بالعقوبة.

(٢) بل حتى أن هذا ينسحب على الأعمال الرتيبة (أو المملّة) أو (الروتينية)- التي لا جديد يُحركها- .. فيتحوّل العقل إلى جهاز (آليّ).. قد تُثخر من قواها!

(٣) كما قال تعالى – عن هذه النفس – .. أو أنها: ﴿لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ ليوسف : ٥٣] .

ابدأ مع نفسك بجد بأمر (الثواب والعقاب) [1]، ولئن كانت المثوبة واضحة، ومحفّزةً أيضاً: فلربما تساءلت عن ماهية أو منهجية العقوبة؟

أولاً : لا يكن دفعك لنفسك – لكي تُطيعك - بعقوبة فقط، فإن حرمانها من بعض ملذاتها (كأن اعتدت أن تمضي إلى مطعم غالٍ، أو مكان جميل .. في نهاية الأسبوع)- فتُوقف عنها هذا المطلب، قاصداً: أني لن أذهب إليه إلا إذا مشيت في هذا الأسبوع نصف ساعة على الأقل، فإن أطاعتك بهذا وأنجزته، فنعمّا هي .. وارتق بعدها بالعقوبة وأيضاً بمدة المشي.. وهكذا.

أقول بهذا حفزاً، لأن.. البعض يسمع عن عادة حسنة، لكنه لا يعرف كيف يغالب نفسه عليها، مثلاً رياضة (المشي)، فلا أظن أن هناك من يُنكر فوائده[2]، فضلاً عن أن لا يُقرّ بإحسانه، لكن المشكلة لديه: أن كيف يمارسها أو يعتاد أو حتى يبدأ بذلك، والإشكال الآخر لديه: أن كيف – إن بدأ- يستمر على هذا؟

وسبق لي أن طرحت كهذه الفكرة (من وجه آخر)، لأمر أهم: الصلاة مثلاً: إن فاتتك فريضة ما، فإنك تُلزم نفسك الذهاب للمسجد

(١) ولابد في البدء من الالتزام بتطبيق هذا (المبدأ).

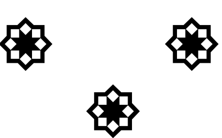
(٢) .. كما تقدّم الإشارة لتلكم – هامش (٣) ص١٤٩-

في الفريضة التالية من أوّل الأذان وتنتظر في المسجد حتى انتهاء الصلاة ليتحصل لديك (عندها) فائدتان، الأولى: أجر المرابطة {الصلاة تلو الصلاة} كما في الحديث.

والأُخرى: وهو نوع من العقوبة (الغير مباشرة) عما اجترحته تقصيراً.. في الفريضة السابقة.

أيضاً (الجمعة) إن فاتتك الخطبة (أو حتى أكثرها) ولكي تُنتج عقوبتك: أن تُجبر ذاتك.. فتقرأ بعد الصلاة جزءاً كاملاً من القرآن .. فتكون العقوبة (تأديباً) .. في المثوبة، وهكذا.

ثم، ليُعلم أن هذا التأديب قد يُدخلك حيّز (البركة).. فتبلغ مقام " من بُورك في عُمره فـ .. أدرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة – لقصورها عن الإحاطة به- ولا تلحقه الإشارة"- إليه، لعلوه في منصبه" .



أجل :

فإني أحب (وقبل أن أختم) .. أن أذكّر المريض بـ:

ألاَ فلتبتسم، فإن الله ما أشقاك إلا ليُسعدك – فلن تُمكّن حتى تبتلى - ، وما أخذ منك إلا ليعطيك، وما أبكاك إلا ليضُحكك، وما حرمك إلا ليتفضّل عليك.. وما ابتلاك إلا لأنّه أحّبك..

كُن بلسما.. إن صار دهرك أرقما[1]	**وحلاوة إن صار غيرك علقما**
إن الحياة حبتك كل كنوزها	**لا تبخلن على الحياة ببعض ما**
أحسن وإن لم تُجز حتى بالثناء	**أيُّ الجزاء الغيث يبغي إن همى**
من ذا يكافئ زهرة فواحة؟	**أو من يثيب البلبل المترنما؟**
فاعمل لإسعاد السوى[2] وهنائهم	**أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا**

وأفضل حثّ.. من البيت الأخير قوله ﷺ: { إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جُحرها وحتى الحوت ليصلّون على مُعلّم الناس الخير[3]} صحيح الترمذي.

.. نسأل الله أن نكون منهم بصنيعنا أو حتى (ولو) بمقاصدنا.

(١) الأرقم أي : العابس.

(٢) أي : كافة الخلق، للحديث { خير الناس أنفعهم} صححه الألباني.

(٣) أسأل الله أن أكون بمثل هذا (الطرح): منهم آمين يارب.

إن قصرت الأعمال عن بلوغ ذلك..

وكم أحسن ابن حزم – رحمه الله – بقوله :

مُنـاي مـن الـدنيا علـوم أبثهـا وأنشـرها في كـل بـادٍ وحاضـر

من التعاون ﴿على البر﴾ لإخوانك المسلمين، وكذا بثّ الخير للبشرية:

يـا أيهـا العربـي أنـت رسـالة للكـون تحشـر دونهـا مسـؤولاً

عسى صنيعك يَبلغ لهداية بشرٍ ما ، فتنال بشرى حديث :

{ لأن يهدي الله بك رجلاً خيرٌ لك من حمر النعم} . ثم إن في هذا تعاوناً- وتكاتفاً[1] أيضاً-

هناك من لديه علم أو معلومة نابعة، لكنّه يضن بها إما (تواضعاً) تُسوّقه نفسه إليه- وهذا ورعٌ بارد-

أو يحسب أنه دون مستوى القول!

أو أن ليس لديه تلك الهمّة التي تستحثّه لفعل الخير، وأحسب بمثل هذا ما حُكي عن علي رضي الله عنه قوله :

(١) للاحتساب في هذا الأجر – كما يحث أهل العلم على ترائي الهلال لدخول رمضان.. مثلاً فيختم الندب لهذا الطلب بـ (الاحتساب لهذا عند الله).

" يا سبحان الله ما أزهد كثيراً من الناس في الخير، عجبت لرجل يأتيه أخوه في حاجة، فلا يري نفسه للخير أهلاً، فلو كنّا لا نرجو جنة، ولا نخاف ناراً، ولا ننتظر ثواباً، ولا نخشى عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح".

ولو ألّف هذا..! كتاباً لبزّ المؤلفين.

وحتى تعرف أكثر قارئي العزيز أروي لك هذه النادرة:

"تناظر ابن حزم الأندلسي مع أبي الوليد الباجي عالم الأندلس، فقال الباجي: أنا أسهر على كُتبي على سراج بائت وأنت تسهر على سراج من ذهب. فقال ابن حزم : غلبتك.

الباجي: لماذا؟

ابن حزم: أقمت الحجة على نفسك[1].

الباجي: وكيف؟

ابن حزم: إنك تسهر على سراج بائت رجاء أن تصير حالك إلى مثل حالي. فسكت الباجي".

وما كان له أن يسكت مراد المعقب: أنه إن كان يريد بصنيعه الله بالفعل فما على مراد ابن حزم.. كان ما يود أن يصير إليه- لأنه أدرك (عموم) القصد: أي أنا علام أسهر والدنيا بين يديّ، إلا إن كُنتُ فعلاً أرجو أمراً أكبر!-

(١) ظنّا منه أن هذه حُجة، ولم يدرِ أنه وقع من حيث لم يحتسب!

وهذا هدف من يريد الله والدار الآخرة، ولنا في عمر بن عبد العزيز ذا النفس التواقة، حين بلغ بنفسه الخلافة فسما بها إلى الجنة بالعمل (.. ذاك النموذج الراشدي، الذي تخلل العهد الأموي).

أجل، فإن الإنجاز لكافة المجتمع له أثرٌ نفيس وتأثير نفسي عجيب، يؤدي إلى نتائج باهرة فيه.

وإن لم يبلغ فحسب صانعه بذل المجهود:

إذا الشافع استقصى لك الجهد كلـه   وإن لم ينل نجحا فقـد وجـب الشـكر

من ماء الحديث :

{ من زاد في علمكم منطقه}رواه أبو يعلي، ثم.. ولو في الدلالة على الخير: للحديث: { الدال على الخير كفاعله} في العون على نشر العلم النافع وطبعه وإيصاله (توزيعاً).

قال الشاعر :

لِلـــهِ قـــومٌ إذا حلّـــوا بمنزلـــة   حلّ السـرور وسـار الجـود إن سـاروا

بخاصة إن كان الجهد آتياً بعد سعي دؤوب وراء المعلومة تقصياً إثرها، ثم تمحيصاً[1] لها.

(١) في صحّة السند وتأصيله.. الخ.

ولئن كانت مهنة الطبيب إصلاح عطب الأبدان، - كما يقول د. خالص جلبي- فإن مهنة الكاتب أكبر: في إصلاح[1] العقول.

بل هو كدين عليّ، قال حذيفة بن اليمان: (ما عظمت نعمة الله على أحد، إلا زاد حق الله عليه عظماً).

وأحسب أن أعظم نعمة أعطاني إياها ربي.. هي: تيسير سبل التحصيل مع (فراغ) [2] وآفقه.. فلما لا أملؤه بخير ينفع عباده.. وفي الحديث: { خير الناس أنفعهم}.

ثم .. وعسى أن يكون أو يُدرج - حتى لا أُزكي نيتي- عملي فيما أمر مولانا: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾ [القصص : ٧٧] ولو كان (هذا الذي أتاك).. علماً- لا مال فقط- ، هذا إن لم يكن ينطبق عليه الإلزام.. لبثّه: { من كتم علماً..لجم بلجام من نار} أو على الأقل.. حين يُسئل: {.. عن علمه ماذا عمل به}.

أخيراً: وإن لم نبلغ درجة التعليم فعلى الأقل نكون على درجة من قال بهم رسولنا ﷺ : { نضر الله امرأً سمع منّا مقالاً فبلّغ عنّا، فربّ ناقل فقه إلى من هو أفقه منه}.

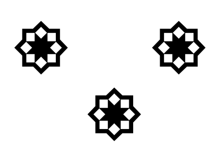
---

(١) فـ (العلم بالحق): ينتج رحمة بالخلق، كما وصف المولى رسوله ﷺ :
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء :١٠٧] فهذا الحصر ثم الاستثناء أعظم دلالة بلاغية .

(٢) وفي الحديث : { نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة **والفراغ**}.

جعلنا الله- بعملنا هذا.. ومثله- ممن حاز ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس : ٢] عنده (أي : سابقة فضل ومنزلة رفيعة)، وأيضاً :

ممن عناهم الحديث الذي رواه مسلم: { من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل من عمله..} الحديث.



ختامـــاً ..

قال (ابن عطاء) : - في حِكمه- : "من ظن انفكاك لطفه عن قدره، فذلك لقصور نظره" .. ثم عقّب الشارح (عبد المجيد الشرنوبي) : (لأن العارفين يشهدون المنن في المحن، والعطايا في البلايا، بل كثيراً ما يتلذذون بها، لما يعقبها من المزايا[1].. إلى أن قال - في مقام فضيلة الصبر - :

فإن ذرة من أعمال القلوب[2] خير من أمثال الجبال من أعمال (الجوارح)، للحديث { إذا أحب الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه، وإن رضي اصطفاه} رواه الترمذي وابن ماجه.

وإليك ما قرأته - مذيلاً بتوقيع شخص مجهول - .. جاء فيه :

(سألت الله القوة حتى أُنجز، فمنحنى **"الضعف"** حتى أتعلّم.
سألته الصحة لأفعل أشياء عظاماً، فمنحني **"السقم"** لأفعل أشياء أعظم[3]، سألته الغِنى لأكون سعيداً، فمنحني **"الفقر"** لأكون

(١) .. انظر في نقطة (١٤) – ص١٠٥-

(٢) أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام: (هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع، وادعني فإني قريب مجيب).

(٣) .. وقد مرّ معنا – ص١٠٧- أن : كل ذي عاهة جبار!.

حكيماً، سألته السلطة لأحظى بثناء الرجال، فمنحنى "**الضعف**" لأشعر باحتياجي إليه، سألته كل شيء لأتمتع بالحياة، فمنحني "**الحياة**" لأتمتع بكل شيء.

لم أحصل على شيء طلبته ولكنه أعطاني كل ما تمنيته.. واستجاب لدعواتي التي لم أنطقها، إنني بين الرجال أكثر من حلّت عليه بركاته..).

فوقفت ملياً عند هذا القول : ورأيت كيف أن الواحد منا يملك أدوات روحية وحسية يتصدى بها لصدمة الموقف، ويخفّف من وطء أي مصيبة!

لكن هذا (العطاء) آتٍ .. وبعد الإيمان الكامل .. مع صدق في التوكّل، ورضاء بما يحصل، فقط حين (تتفاءل) وحين تبتسم وحين يخلو قلبك من كل سوء ويزول عنه: كل هم وغم وحزن، وحين تنظر إلى الحياة بمنظار حيوي متدفق، وحين يكون طموحك واعياً مدروساً وبعيداً عن سوء الظن والحقد والحسد، وحين تفطن كثيراً إلى آثار (الصبر الواعي) وقوة الملاحظة ودوام الدعاء، تجد هناك / أن الحياة رحبة والآمال تتجدد والثقة ترتفع فتتوهج،والفهم يتسع والصحة تبدو، والعلم.. (صعودا بتأن)[1] وضبط وعزم وحزم.

(١) الصعد: الارتقاء إلى أعلى، لكن (بصعوبة)!: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام : ١٢٥]

فليس الذين نجحوا خلال القرون الماضية إلا أولئك الذين خرجوا من أرحام: (المعاناة) وبلون الآلام، وليس النجاح فقط هو في بلوغ (مركز) ما أو (مال)، أو سعة تجارة .. أبداً.

مع (التنبّه) إلى ما أوجز أحد الحكماء :

(إنما أنتم في الدنيا أغراض المنايا، وأوطان البلايا، ولن تنالوا نعمةً إلا بفراق أخرى، ولا يستقبل منكم معمّرٌ يوماً من عُمره إلا بانتقاص آخر، فأنتم أعوان الحتوف على أنفسكم، وفي معاشكم أسباب[1] مناياكم، لا يمنعكم شيء منها، فأنتم الأخلاف بعد الأسلاف، وستكونون أسلافاً بعد الأخلاف، بكل سبيل منكم صريع متعقر[2]، وقائمٌ ينتظر، فمن أي وجه تطلبون البقاء!؟).

.. وعلى حد ما قيل :

يُمثِّل ذو اللُبِّ في لُبِّه ... شدائده قبل أن تنزلا

فإن نزلت بغتة لم يُرع ... لما كان في نفسِه مثَّلاً

ولو قدَّم الحزم في نفسه ... لعلَّمه الصبر عند البلا

(١) .. نضيف (وبيئاتكم).. إذا ما علمنا – مثلاً- أن : نسبة كبيرة من الناس في الهند والمكسيك والبرازيل تموت بلدغ العقارب بسبب كثرتها، وتنوعها!
من جهة أخرى (لدينا): ما ذكرته شُعبة السلامة- في المرور- أن حصيلة الحوادث (من الموتى) بلغ ما يقارب ٤ آلاف، وهذا في عام واحد فقط ١٤٢٨هـ، بل نحن رابع دولة في العالم، من ناحية خسارة الأرواح.. – فقط: بسبب حوادث السيارات- فالله المستعان! ونسأله السلامة.
حتى عُنون أحد أسابيع المرور بِ (كفِى..) أي : من ضحايا الحوادث..

(٢) أي مقتول، من قوله تعالى ﴿فعَقَرُوا النَّاقة﴾ [الأعراف٧٧] - أي قتلوها-

فهذا الفرق بين الفريقين ، فهذا العاقل، وما قد يحتاط له (إيماناً ويقيناً)، وذاك الجاهل، الذي لا يستحضر- ولو على الأقل- ما أُصيب به من سبق فيتعظ، وينصرف عن مكامن المصارع — الوقاية- ، أو يعلم أنه ما سلم مثله ليسلم هو، وهنا يأخذ الصبر مطية.

وأستغفر الله:

عن أن أقول بعلم لم أُتقنه، أو أُدلي بنصح ولا أقوم به، أو حتى - لا قدر الله - : أعمل خلافه!

.. لأن غالب الجهد المبذول غايته الإتقان إن عزّ بلوغ الكمال[1].

اللهم اجعل عملنا قاصداً شرعك، مُبلّغا مرضاتك، وخالصاً لوجهك،كما ونسألك أن تُصلح لنا النية، وأن يكون ما خولتنا من نعِم - بخاصة في (العلم) - مطيةً لبلوغ رضاك (بها) عنا .. وممن يُريد بذاك وجهك- ، حين نضعها تسهيلاً لعبادك.. لبلوغ مرضاتك.

والحمد لِلهِ رب العالمين
وصلى الله وسلم على قدوة الصابرين
وعلى آله وصحبه أجمعين









(١) الكمال .. آتٍ في الجهد الجماعي المبذول من الصفوة .. استقراء من حديث: { لا تجتمع أمّتي على ضلالة}.

.. مِـن (المراجـع)

ومـع مـا اطلعـت عليـه.. مـن المـواد الـتي حفظتهـا في (أرشـيف) مستقل، كبعض مـن الـدوريات والنشـرات الطبيـة حـول هـذه المـادة، .. أيضاً/ مع الكثير مما وقعت عليه حال جمع المادة.. التالي :

١) أمراض القلوب وشفاؤها- لابن تيمية.

٢) الداء والدواء - لابن القيم .

٣) الدواء الشافي - لابن القيم .

٤) خُطب التوحيد المنبرية.

٥) كتاب (أصحاب البصائر: وقفات في أحوال المكفوفين وآدابهم)، "د. محمد بن سعد بن حسين"، ط/١ .

٦) يسـألونك- "د. صـالح اللحيـدان"، .. الـذي صـدر منـه لـلآن (٣) أجزاء، - وهو/ جمع شتات ما يطرح في زاويته الأسبوعية بصحيفة (الجزيرة) كل جمعة، وتحت نفس العنوان-

٧- علم معجم الأخلاق- مجموعة من المؤلفين، بإشراف "إيفوركون"، ترجمة توفيق سلوم.

٨- شرح الحِكم العطائية – لـ (ابن عطاء الله السكندري) .

٩- هكذا علمتني الحياة - الشيخ (د. مصطفى السباعي).

١٠- محاضرات (د. عمر عبد الكافي).

١١- تلخيص كتاب (الوصية) ببعض السنن شبه المنسية- جمع/ هيفاء الرشيد.

١٢- كتاب (د. ياسر أبو زيد) : الطب النبوي.

١٣- مجموعة (بحوث في النفس الإنسانية وعوارضها). د. عبدالله السدحان.

١٤- طريق الهجرتين لابن قيم الجوزية.

١٥- تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن- للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

١٦- الدعاء.. آدابه ومواطنه وما يتعلق به – للشيخ رهف القحطاني.

رسالـة " المؤلّـف "

إن أي منجز بشري معرّض – لا محالة- إلى النقص، بل حتى العمل الجماعي.. يحتاج إلى المراجعة، لأن الحال قد تبلغ كمالاً نسبياً ، لكن لا ينال درجة الكمال (المطلق..) أبداً، ومما تقدم أبسط التالي:

قال خير الدين الزركلي- رحمه الله- (قارىء الكتاب أبصر من مؤلفه) .. فعلى من يجد ما يلزم[1] تصويبه أن يُقدّمه لي (عن طريق أحد الوسائل.. خلف الورقة)، فإني لأحسب هذا أعزّ ثمن يُقدّم – ليتم الإستفادة.. ومن ثم استلحاقه في طبعة أخرى، إذ يجوز (الخطأ) على الثقة.. كما يقول علماء السنّة المطهرة في مطولات الأسفار- بخاصة ذلك الخطأ الذي (قد) يغيّر المعنى المقصود، أو يُلتبس على المتلقي مرماه.

.. وإلا فما كل خطأ يؤبه بتصليحه أو حتى يُشار إليه، بخاصة ذاك المشهور أو المدرك لدى متواضعي مشارب العلم: معرفة ما هو الأصوب به، أي أني لا أعني بالملحظ.. إلا ذاك المهم فعلاً التنبيه إليه، لا ما عناه أو أطرّ له العماد الأصفهاني - ت ٥٩٧هـ- رحمه الله :

(إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه. إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن. ولو زُيد كذا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذه لكان أجمل..، وهذا من أعظم العِبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جُملة البشر..).

ولا غرو في هذا، قال إبراهيم المزني (قرأت كتاب الرسالة على الشافعي ثمانين مرة، فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ، فقال الشافعي: (هيه أبى الله أن يكون كتاب صحيح غير كتابه) البخاري كشف الأسرار ١/١٩، وفي رواية أخرى.

ثم تلى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء : ٨٢] فـ لا يُظن أن تكرار المراجعة والتنقيب كفيلان بتدارك كافة مواضع النقص، أو تلمس مواطن الأخطاء.

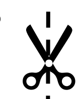
.. وأحسب أيها القارىء.. أو إحتسب فعل ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة : ٢] ، فإن لم يكن ذاك بداعي البر، ألا فاحسبها كـ (هدية) منك تُسديها لأخيك المؤلّف على ما تجده في عطاءٍ طَرَحه بين يديك - وقد بذل لك.. ولخدمة العلم: صاحبه[2]- .. لمقولة "عمر " النافذة في التاريخ: (رحم الله من أهدى إليّ عيوبي)، لأني أو أظن ظناً يقربُ من اليقين/ أني بلغت أو قاربت مرام ما أطرحه.

فالمجال مفتوح.. ومُتاح، والباب لم (ولن) يُوصد لمن (يستطيع) إما الإسهام أو للتصويب.

---

(١) وأقول ما يلزم حتّاً ، لأن في كثير من حالات ما يطرح- وهذه من التنبيهات التي أحفظها للعلاّمة د. صالح اللحيدان- بقوله (إن.. النقولات المطروحة ليقرؤها الجلة من العباد ليس بذي حيف أن يتركها أو بعضها.. الكثيرون ممن يطلعون بحق وصدق وهم من العلية في سعة الإطلاع ونباهة الفهم وسداد الإدراك الاستقصائي من ذوي الشعور بالمسؤولية)..الخ – قصده/ لما هو واضح الصواب الذي جانبها-

(٢) .. لكن وتذكيراً بـ قاعدة: " إذا كان كل عمل الإنسان صواباً أصبح معصوماً- كالأنبياء- ، وإذا كان كل عمله خطأ.. أصبح مجنوناً" .. لكن الميزان – الحق- أن إذا غلب الصواب الخطأ أصبحت التجربة.. أقرب للنجاح، وصحة القياس، و(العكس صحيح)، ويُقرّب أهل الرياضة: (أفضل الحكام.. أقلّهم أخطاء).



رقم الصفحــة :

رقم الهامــش :

أو/ ملحظ مهم (مما يُلحق على الكتاب):

....

....

....

على العنوان التالي :

إما الإلكتروني / mohsnali @yahoo.com

أو / البـَريــدي / ص . ب : ٢٥٩٨٥

الـريـاض : ١١٤٦٧

أو برسالة نصية على الجوال/ ٠٥٥٥٤٥٥٢٩٨

أو علـــى الفاكــس / ٤٧٧٤٨٦٢ - ٠١

مشكوراً على صنيعه

ومأجوراً به،،،

صدر لـ (المؤلـف) :

أ- كُتــب :

١) فارس الكلمة (المتنبي) ط ١٤١٧هـ ، والثانية : - ١٤١٩هـ.
٢) نصف قلب – ط ١٤١٨هـ
٣) ديوان البيان – (جزئين) في مجلّد واحد – ط ١٤٢١هـ.
٤) خير البرية محمد (صلى الله عليه وسلم).
٥) هادم اللذات - ط ١٤٢٥هـ.
٦) هذا أبي (الشيخ علي) – ١٤٢٧هـ.
٧) وفاءً.. لمن (وفّى) - تحت الطبع -
٨) المرض، ومحاسنه الغائبة – بين يدي القارىء –
٩) اللين.. في التعامل والتخاطب- ١٤٣١هـ.
و.. قريباً بإذن الله:
١٠) أفكار .. تستحق الإبحار - تحت الطبع -
١١) الحياة الطيبة - تحت الطبع- .
١٢) مساوىء دُعاة المُساواة - بين الجنسين –
١٣) كيف يقرأ الكتاب.
١٤) إروى الظمآن من أدب القرآن.
١٥) عرض لطيف – لمنهجية التأليف-

ب- رسائـــل :

١) الاستغفار – جلاء القلوب – ط ١٤٢٥هـ.
٢) باقة رمضانية – في/ رمضان ١٤٢٦هـ.
٣) الناصرية.. قضيّة لها بقية – ط١/ ١٤٢٢هـ ، والثانية تحت الطبع.
٤) أيها الشاب (٢١ نصيحة).
٥) يا حملة القلم.. رويداً .
٦) درس في (تربية النفس).
٧) رُدا! (قلبي) تحت الإعداد.
- مع الإسهام (بفضل الله) .. في: الكتابة الصحفية.. في الأدب والاجتماعيات-



أحمد المغلوث

و.. لما حوت المادة من الكثير من الإسترسال، فإني أقدّم هذا (الإيجاز)، أو ..(المحاسن) : باختصار – التي أحسبها أو بمثابة (عزاء) خطاب.. لكل مصاب –

١) أجر وطهور.

٢) قد يكون علامة حبّ الله .

٣) عودة للمقصّر - في جنب الله - .

٤) تذكير بنعمة العافية.

٥) قد يكون سبباً لدفع بلاء أعظم.

٦) الرأفة بصاحبه.

٧) كما ويُعذر في أنواع من العبادات.

٨) أو يتبع هذا رد كيّد الأعداء.

٩) هو في (معية) الله – حثاً على عيادته.

١٠) إفاقة القلب إلى عبادة (الدعاء).

١١) أجر المحتسب إن صبر

١٢) يفيق الهمّة إلى المسارعة في الأعمال الصالحة.

١٣) تطبيق (جبريٌّ) لحديث : { إن لجسدك عليك حقّاً}.

١٤) وهو في (إحدى الحنسيين).

١٥) يتولد منه قوة قلما يبلغها الصحيح "المنعم".

١٦) نعمة (الألم) به.

١٧) أنه في هذا المجال أقل من الموت .

١٨) المرض يبين حقارة الدنيا.





المؤلف في (سطور) :

.. عبـد المحسـن بن علي بن محمد المطلـق

- مواليد الرياض مطلع الثمانيات الهجري من القرن المنصرم.
- ليس بأستاذ ولا دكتور ولا بمتخصص أو أكاديمي .. لكنّه أبحر بنفسه،حين ثقفها، وأعطاها حظاً من القراءة والاطلاع قلما بلغه الأقران.

كتب أول مقالة (نُشرت عام ١٤٠٦هـ) وامتد بعدها عطاءه صحفياً في.. مقالات تربو على المئتين ، اشتملت على جوانب عدة.. اجتماعية تنمية سياسة فكر.. دين أدب ـ حتى أصدر عام ١٤١٧هـ أول كتبه نصف قلب، وكان في أرشيفه قبلها مادة عن المتنبي، تمخّض منها عند إذ كتاب (فارس الكلمة)، المتنبي، فأمخر عندها بقلمه عُبابِ الأدب فأصدر (ديوان البيان) .. بين دفتيه منهج ـ يكاد يكون فريدا ـ: تذوّق الشعر العربي.

و.. الذي سما به.. فجاز به إلى العطاء الاجتماعي بمواد صحفية، فيما قدّم ما يُحسب دينٌ عليه، ككتاب خاص عن الوالد(هذا أبي) والذي طاول به بعدها إلى العطاء الأسمى ببعض جهد في الدين، فأصدر هادم اللذات وتبعه الحياة الطيبة أو السعادة من منظور إسلامي، - فـ "منهل من السيرة النبوية.. على صاحبها الصلاة والسلام، وكذا فوائد المرض ـ شرعيا ـ بين يدي القارىء، مع رسائل في الاستغفار، واستقبال رمضان، وفي قدر ـ مقام ـ الصلاة .. ومادة في التوجيه (اللين)، فـ "نصائح للشباب" وهذا .. في غمار مجاهدة هو (زكاة) العلم،.. من حديث {من لم يجاهد أو يحدث نفسه بالجهاد..} وقد شرح العلماءٍ عن أنواع الجهاد، منه جهادٌ بالقلم، فعسى الطروحات تلك.. أو سائلا المولى أن تكون منه، وأملي منها حين :

تبلى الأنامل تحت الأرض في جدث وخطها في كتاب يؤنس البصرا

بالأخصّ ما أتوّج به لاحقاً . بإذن الله : (أروى الظمآن من أدب القرآن).

.. وبعد، فهذه ليست بسيرة ، لكنها (صيغة) تعريف بصاحب هذا الكتاب.

فأني أحسب أن أَوَلى تعريفٍ بالشخص، ليس سيرته.. أين ومتى وُلد ..الخ، فإن كلٌ منّا له مثل هذه السيرة..

.. ولكن بما أقدم عليه، وقدّم للأمةٍ وما يُحسب له من حُسن صنيعٍ يُذكِر له، لا لمدح الذات، وإنما شفيعا له في قبول عطائه أو لتقييم المؤلف بما قدّمه — من خلاله- .

ومن هنا نجد حالة موازية لمقولة، العقاد عن نفسه (ليس بدكتور، ولكنه أديب مشهور) ثم أخذ: يذكر ما قدّمه للأمة.. أي: أن تلكم: (الشهادة) بحق، التي يحفل ويفاخر بها، لأنها بلّغته ربوة ما بلغ، فيما أوجز ــ بمثلي (الخويطر) في إجلاء أكثر أنّه: لا يلوّح بالدكتوراه إلا ...!

mohsnali@yahoo.com

